الكتاب المنتظر

في

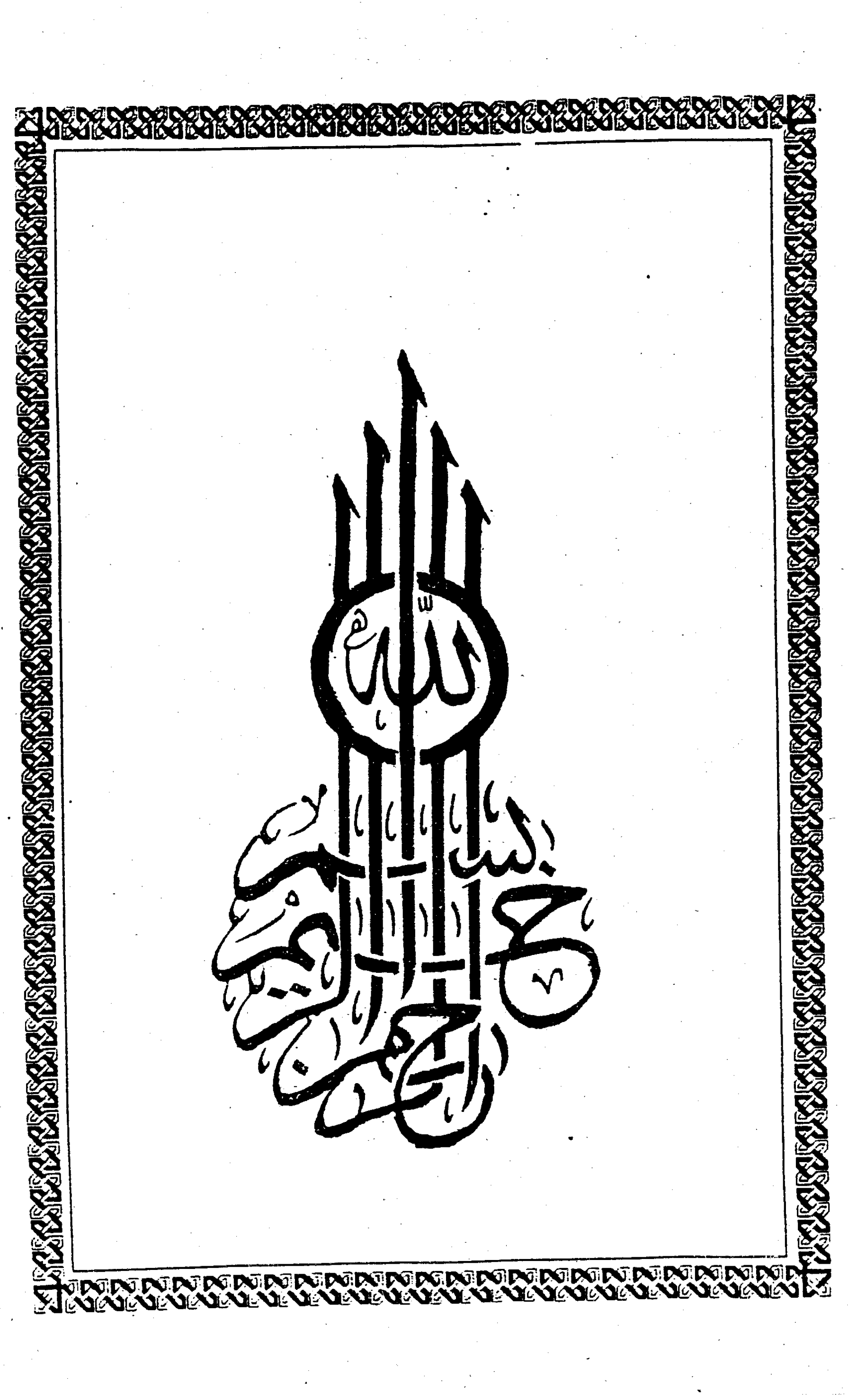
القضاء والقدر

(عقيدة وتربية)

تأليف

دكتور/ناجي محمد حسن

البدرى جاد الكريم حسن   محمود عبدالقادر أحمد


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فعليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات ، وآله وأصحابه أجمعين.

وبعـــد

لقد شغلت قضية القضاء والقدر تفكير الإنسانية في أجيالها المتعاقبة جيلاً بعد جيل دون أن تجتمع فيها على رأي حيث ضلت فيها أفهام ، وزلت فيها أقدام ، ولم يهتد فيها إلا من سار على منهج الله واتبع هدى النبي صلى الله عليه وسلم ونهج طريق السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

ومع أن هذه القضية من أخطر القضايا التي واجهها العقل البشري حيث أنها دعامة من دعائم التوحيد ، وجانباً مهماً من جوانب العقيدة ، وركناً عظيماً من أركان الإيمان ، نجد شيوع الفهم الخاطيء لهذه القضية بين الناس رغم اختلاف طبقاتهم ، وتباين مراتبهم العلمية مما كان دافعاً قوياً للبحث حولها للإجابة على العديد من التساؤلات التي تشغل الكثير من الناس .

ولما لهذه القضية من تأثير فى سلوكيات الأفراد ، آثرنا أن نبرز حولها الفكر التربوى المستمد من الكتاب والسنة الذى يبين مدى تأثير الإيمان بالقدر فى سلوكيات الأفراد ، وما يترتب على ذلك من تكوين شخصيات مؤمنة بالله فعالة فى المجتمع .

وبعون الله وتوفيقه تم تقسيم هذا الكتاب إلى سبعة أبواب على النحو التالى :

ونسأل الله أن يجعل هذا العمل المتواضع خالصاً لوجهه ، وأن ينفع به المسلمين ، وأن ينال رضاه إنه نعم المولى ونعم النصير.

المؤلفون

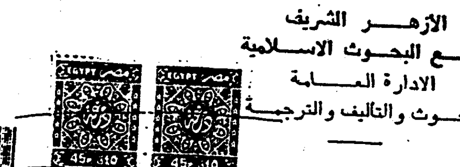
نموذج رقم « ١٧ »

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهـــر الشريف
مجمـــع البحـــوث الاســـلامية
الادارة العـــــامة
للبحـــوث والتاليف والترجمـــة

AL - AZHAR AL - SHARIF
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

٦٠٦٩



الســــيد / د/ ناجي محمد حسين، د/ البدري جاد الكريم حسن، د/ محمود عبد القادر احمد

الســـلام عليـــكم ورحمـــة اللـــه وبركاته ـــ وبعـــد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : الكتاب المنظار في العضلات والعظام

.... تاليفكم ....

نفيد بان الـــكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاســلامية ولا مانع من طبعـــه ونشره على نفقتـــكم الخـــاصة .

مع التـــاكيد على ضرورة العنـــاية التامة بكتـــابة الآيات القـــرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والالتزام بتسليم ٥ خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبـــع .

واللـــــه المــــوفق ،،،

والســـلام عليـــكم ورحمـــة اللـــه وبركاته ،،،

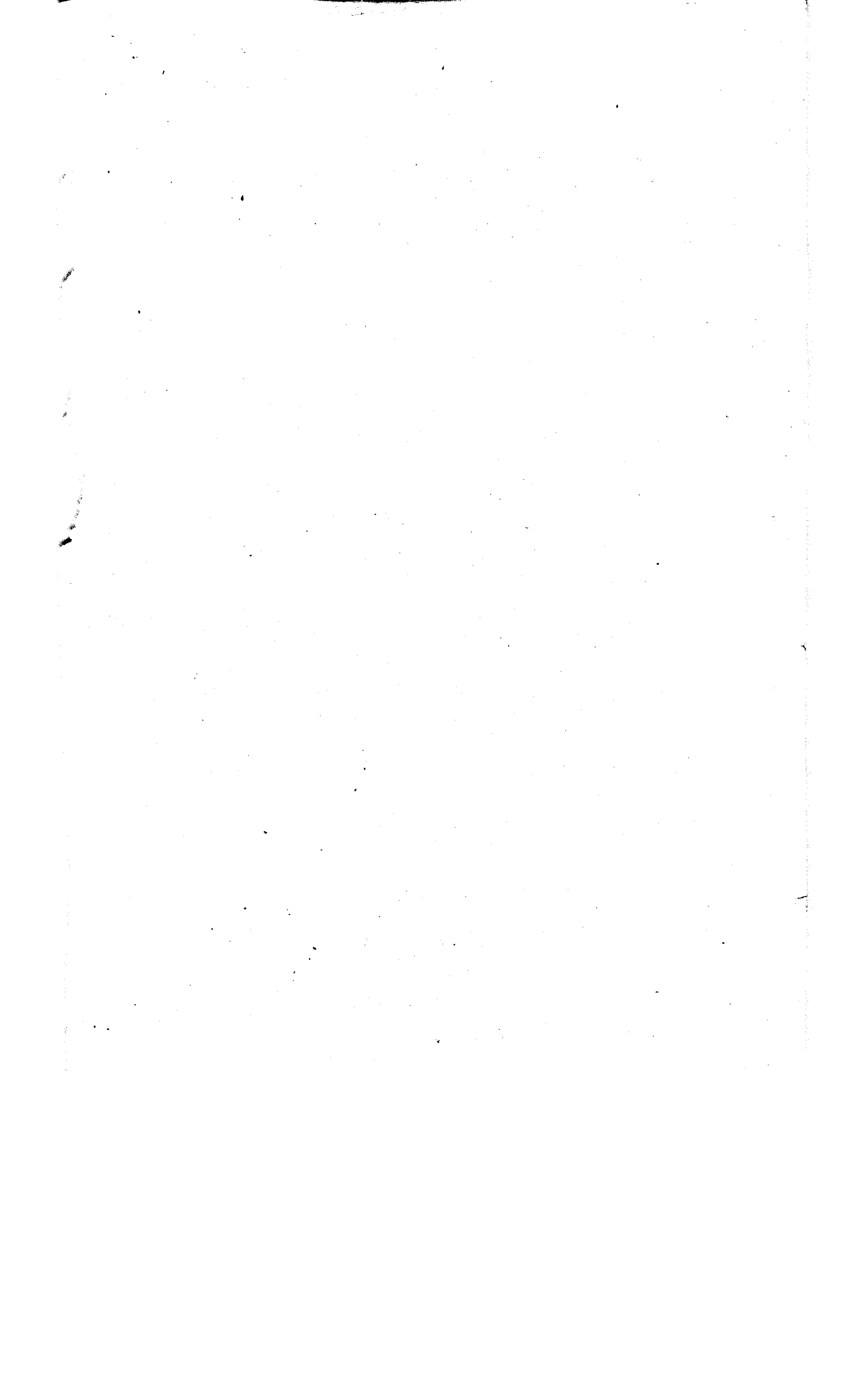
مـــدير عـــام
ادارة البحوث والتـــاليف والترجمـــة

٩٨/٥/٢

تحريرا فى ٥ / ٢ / ١٤١٩ هـ
الموافق ٣١ / ٥ / ١٩٩٨ م

الباب الأول

عظمة الله



عظمـــة اللـــه

الحمد لله الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية ، الظاهر فليس فوقه شيء والباطن فليس دونه شيء ، هو الواحد الأحد الفرد الصمد تنزهت ذاته وصفاته عن ذات وصفات مخلوقاته ، فلا نظير له فى كبريائه ، ولا مثيل له فى تدبيره، ولا شريك له فى ملكه ، ولا معقب له فى حكمه ، ولا راد لقضائه ، سبحانه وتعالى استغنى بذاته عمن سواه ، وافتقر إليه ما عداه ، فهو خالق كل شيء من أصغر شيء فى الوجود إلى العرش الممدود الذى هو سقف المخلوقات . الجميع خلقه وملكه وعبيده وتحت قهره وقدرته وتحت تصريفه ومشيئته.

الله أكبر من كل شيء ، وهو فوق كل شيء ، ومع كل شيء ، ووارث كل شيء، الله اكبر من أن تحيط بعظمته عقولنا ، أو أن تستوعب كمالاته أقدارنا، فهو الذى استعلى بكبريائه ، واحتجب بأنوار رحمته . فهو غاية لا تدرك لأنه الكمال المطلق ، تنزهت ذاته عن أن يدركها العقل البشرى ، فهى تتجاوز قدرة الفكر الإنسانى . وإذا كان الإنسان عاجزاً عن إدراك كثير من حقائق الوجود الذى يعيش فيه فكيف يتجرأ ويريد معرفة الذات الإلهية ، فالعقل الإنسانى يعجز عن فهم وإدراك حقيقة الضوء ما هى وما كنهها ؟ وكذلك يعجز عن إدراك الإشعاع الذرى والنووى بل أبعد من ذلك . فالإنسان بكل ما لديه من إمكانيات علمية يعجز عن إدراك حقائق فى داخله فما هى حقيقة الروح؟.

ومع أن الإنسان يجهل حقائق فى داخله يريد أن يتجاوز حدوده ويعتدى على الذات الإلهية بقوله أريد أن أدركها . ما أقبح الإنسان حينما يتبجح بالها من صفاقة .. ومن يدعى ذلك كمن يدعى أنه يأتى بالشمس من المغرب. وتعالوا بنا إلى موقف مع سيدنا موسى عليه السلام الذى اختصه الله بكلامه فلما كلمه الله طمع موسى فى رؤيته قال تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]

ولكن الله أجابه بالنفى إجابة قاطعه بقوله تعالى: ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ وذلك لضعف موسى أمام عظمة الله فهو إنسان ضعيف لم يخلق الله فيه مقومات ووسائل تمكنه من رؤية الله عز وجل وأراد الله تعالى أن يبرهن لموسى عليه السلام بالدرس العملى فقال تعالى :

﴿ وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣]

الجبل الذى تلاطم قمته السحاب كما ترتطم أمواج البحر بصخوره انظر إليه ماذا سيحدث له مادمت لم أهبه مقومات ووسائل الرؤية

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [الأعراف: ١٤٣]

فالجبل بما خلق الله فيه من قوة وصلابة وضخامة انهار أمام عظمة الله تعالى وصعق موسى عليه السلام:

﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]

فتاب واعتذر إلى الله فما كان له أن يسأل الله الرؤية تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. قال تعالى:

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]

وإذا كان الإنسان فضولي يريد أن يعرف كل شيء وقال الله عنه: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٤]

فقد نهى النبي ﷺ عن التفكر في ذات الله قال عليه الصلاة والسلام : «تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله فتهلكوا» رواه البيهقي. لأن الإنسان بفهمه الضيق وإدراكه المحدود قد يقع في الهلاك بالتفكر في الذات الإلهية ولقد ضل أقوام كثيرون لم يلتزموا نصح النبي ﷺ وتدخلوا فيما لا يعنيهم فكان سببا في فتنتهم لأنهم يجادلون فيما لا يقدرون على معرفته فالله لم يعط الإنسان في الدنيا قدرة على إدراك الذات الإلهية أو رؤيتها ، والله أعظم من أن تدركه عقول عاجزة أو أبصار محدودة. ويحسن في هذا المقام ذكر قول ابن الحديد :

والله لا موسى ولا	عيسى المسيح ولا محمد
علموا ولاجبريل وهو	إلى محل القدس يصعد
كلا ولا النفس البسيطة	لا ولا العقل المجرد
من كنه ذاتك غير أنك	واحدى الذات سرمد

ولكن سوف يغير الله طبيعة البشر في الجنة ويمكنهم من رؤيته سبحانه وتعالى قال : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة].

روى عن جرير ﷺ قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال : «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا ، لا تضارون في رؤيته» رواه البخاري في صحيحه.

سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير كان ولم يكن شيء قبله ، ثم شاءت حكمته تعالى أن يخلق العرش على الماء ، ثم يقدر مقادير الخلائق ، ويكتب فى اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة ، سبحانه وتعالى وسع كل شيء علما .

فعن عمران بن حصين قال : قال أهل اليمن لرسول الله ﷺ: جئناك لنتفقه فى الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر . فقال عليه الصلاة والسلام: كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر (اللوح المحفوظ) كل شيء ثم خلق السموات والأرض. رواه البخارى .

وعن العباس بن عبد المطلب ﷺ قال : كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ بالبطحاء فمرت سحابة فقال رسول الله ﷺ : أتدرون ما هذا ، قلنا : السحاب ، قال ﷺ : والمزن ، قلنا : والمزن ، قال : والعنان ، فسكتنا . فقال ﷺ : هل تدرون كم بين السماء والأرض . قال : قلنا الله ورسوله أعلم، قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والأرض، ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ، والله فوق العرش ذلك وليس يخفى عليه شيء. (رواه الترمذى وأبو داود وابن ماجه واللفظ لأحمد.

قال تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة :١٧].

فالعرش هو أعظم مخلوق لله استوى الله فوقه، لا يعلم قدره ومقداره إلا الله سبحانه وتعالى .

قال تعالى: ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]

وقال تعالى ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الزمر: ٧٥]

وثبت في صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إذا سألتم الله الجنة فسلوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة وفوقه عرش الرحمن » .

سبحانه وتعالى أمر الكون بالمثول بين يديه حضوراً من العدم طائعاً أو كارهاً ، فامتثل الكون ساجداً بين يدي الطاعة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٤) هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦) ﴾ [يونس]

فما من ذرة فى الأرض ولا فى السماء إلا وتستمد وجودها من الله، فهو خالق كل شىء، سبحانه وتعالى وضع نظام هذا الكون، وهو بحق نظام معجز، غاية فى الدقة، أساسه السنن والقوانين التى وضعها الله ونظم بها الكون، والتى لا تتبدل ولا تتغير إلا بإذنه، فما من شىء فى الكون إلا وقد وضع فى مكانه المناسب، وبالقدر المناسب، فصار الكون متحداً، متناسقاً، لا يعتريه الخلل، صنع الله الذى أتقن كل شىء.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤]

وقد قيل لأعرابى بما يستدل على وجود الله فقال: البعرة تدل على البعير، وأثر السير يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير.

قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الطور]

ولله در الشاعر [١٧٠ : ٢٤](*):

سل الواحة الخضراء والماء جاريا ... وهذى الصحارى والجبال الرواسيا

سل الروض مزدانا سل الزهر والندى ... سل الليل والإصباح والطير شاديا

سل هذه الأنسام والأرض والسما ... وسل كل شىء تسبح الحمد ساريا

لو جن هذا الليل وامتد سرمدا ... فمن غير ربى يرجع الصبح ثانيا

(*) الرقم الأول يشير إلى رقم الصفحة، والرقم الثانى يشير إلى رقم المرجع.

وهذا الكون فى وجوده وبقائه يحتاج إلى ربه لحفظه ورعايته لحظة بعد لحظة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر :٤١]

قال تعالى : ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحج :٦٥]

فكل شىء فى افتقار إلى الله ، والله هو الغنى الحميد الذى خلق الإنسان من طين ، وجعل نسله من سلالة من ماء مهين ، واسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، وشرفه بالعلم والتعليم .

قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل :٧٨]

سبحانه وتعالى فطر النفس البشرية على الإيمان به ، وما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فطرت الله التى فطر الناس عليها .

قال تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ (١٧٣) ﴾ [الأعراف]

ولا أدرى كيف يكفر الإنسان ويغطى الإيمان الفطرى ويستعلى ويتكبر على الله متناسيا نعم الله عليه التى لا تعد ولا تحصى والذى تعهده بالرعاية من مستقر النطفة إلى مستقر الجيفة فما أحوج الإنسان إلى ربه قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ (فاطر: ١٥)

ولله در القائل [١٠١ : ٦]:

قل للطبيب تخطفته يدى الردى	يا شافى الأمراض من أرداك
قل للمريض نجا وعوفى بعدما	عجزت فنون الطب من عافاك
قل للصحيح وكان يحذر حفرة	فهوى بها من ذا الذى أهواك
قل للجنين يعيش معزولاً بلا	راع ومرعى من ذا الذى يرعاك
قل للوليد بكى وأجهش بالبكاء	لدى الولادة ما الذى أبكاك
وإذا ترى الثعبان ينفث سمه	فاسأله من ذا بالسموم حشاك
واسأله كيف تعيش يا ثعبان	أو تحيا وهذا السم يملأ فاك
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت	شهداً وقل للشهد من حلاك
بل سائل اللبن المصفى كان بين	دم وفرث ما الذى صفاك

ويقول المولى عز وجل فى الحديث القدسى :

[يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم . يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم . يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم . يا عبادى أنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر لكم الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم. يا عبادى لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى . يا عبادى لو أن أولكم

وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا . يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا . يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر . يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه }.
أخرجه الإمام أحمد في صحيحه عن أبى ذر ﷺ.

الدور التربوى للإيمان بعظمة الله

إن الإيمان بعظمة الله هو الدعامة الأساسية التى تستقيم بها الحياة، فهو يوقظ حواس الخير ، ويربى ملكة المراقبة ، ويبعث على طلب معالى الأمور ، وينأى بالمرء عن محقرات الأعمال . فالإيمان بالله عقيدة توجيهية إيجابية فعالة تعمل على إيجاد الإنسان العابد الصالح ، وهذه العبودية لله تحرره من حب الدنيا ، وشهواتها ليس هذا فحسب ؛ بل تزرع فى نفسه العمل للحياة الحقيقية التى يتهيأ ليحياها عند ربه فى دار القرار.

وما أحوج الأمة الإسلامية فى الوقت الحاضر إلى جيل مؤمن بالله ، عارف لتعاليمه، يدعوا إلى طريق الخير ، ويحذر من طريق الشر ، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠]

فالإيمان بالله يثير العزائم إثارة قوية فعالة ويسهم فى توجيه السلوك إلى كل خير والبعد عن كل شر ، قال عليه الصلاة والسلام: «لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» رواه البخارى. فالإيمان القوى بالله هو الذى يضئ لنا الطريق، طريق الخير والبركة والسلام ولن يتأتى ذلك إلا بإتباع المنهج التربوى الإسلامى المستمد من كتاب الله والهدى النبوى. وهذا يفرض على التربية بمؤسساتها المختلفة – المسجد والأسرة والمدرسة أن تغرس

القيم الإسلامية وفى مقدمتها قيم الإيمان بالله باستخدام أسلوب التفكير فى عظمة الله وآياته المتعددة فى الكون.

هذا بجانب أسلوب الحوار والوعظ والنصح والقدوة ، كما يجب أن يكون سلوك الداعية والمربى موافقاً للقيم التى يدعو إليها وبذلك يمكن تقويم وتوجيه سلوكيات الأفراد والوصول إلى مجتمع إسلامى فاضل.

الباب الثاني

ماهية القضاء والقدر

القدر فى اللغة

لقد وردت مادة القدر فى اللغة العربية مستعملة فى عدة معانى على النحو التالى :

(١) الترتيب والتحديد – قال تعالى : ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾[فصلت:١٠] ، أى رتب وحدد فيها أقواتها.

وقال ابن حزم : لقد ظن بعض الناس أن القدر يتضمن معنى الإكراه والإجبار ، وليس الأمر كما ظنوا ، فالقدر معناه لغة : الترتيب والحد الذى ينتهى إليه الشىء ، تقول قدرت البناء أى رتبته وحددته.

(٢) التقدير الصادر عن فاعله كما علمه والتقدير مثلاً أن يرمى الإنسان السهم فيقع فى الموضع الذى قدره له. قال تعالى :

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾[الفرقان:٢] .

(٣) العلم المحيط بمقادير الأشياء وجميع أحوالها قال تعالى :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[القمر:٤٩]، أى بعلم سابق فالله سبحانه وتعالى علم مقادير الأشياء قبل وقوعها ووجودها ومن هنا يتضح أن القدر معناه : علم الله السابق وتقديره للخلائق.

فالله سبحانه وتعالى قدر السموات ، والكواكب ، والعناصر ، والمعادن، والنباتات ، والحيوان ، والإنسان وكل شىء بمقادير مخصوصة، ومعالم محددة ، وقدر لكل واحد منها البقاء مدة معلومة،

وكذلك قدر الصفات والألوان والطعوم والأوضاع والخس والقبح والسعادة والشقاوة وغير ذلك ، فعلم الله وسع كل شيء حتى ما لم يكن لو كان كيف يكون ، وهذا المعنى الواسع الشامل هو الذى يفيده لفظ القدر عندما يقترن بالقضاء. فالقدر هو علم الله وتقديره للأشياء وكيفية وقوعها منذ الأزل.

أما القضاء فهو إنجاز القدر ووقوعه .

وقد يطلق القدر ويراد به (القضاء والقدر) أى إنجاز ما علمه الله ووقوعه. قال تعالى :﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]

القضاء فى اللغة

وضعت مادة القضاء فى اللغة للدلالة على أكثر من معنى بحسب الجملة الوارد فيها اللفظ ومرجعها جميعا إلى إنجاز الشىء.

ولم ترد كلمة القضاء بنصها فى القرآن الكريم وإنما وردت مشتقاتها ثلاثا وستين مرة فى سبع وعشرين سورة.

فلقد وردت بمعنى (الحكم) كما فى قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]

وجاءت بمعنى الإيجاد والخلق فى قوله تعالى:

﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت:١٢] .

وجاءت بمعنى التقدير والتحديد فى قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ﴾ [الأنعام :٢].

ووردت بمعنى الأداء وتوفية الحق فى قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ ﴾ [القصص:٢٩].

ووردت بمعنى الإرادة كما فى قوله تعالى :

﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران:٤٧].

وجاءت بمعنى الإعلام والأخبار كما فى قوله تعالى :

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ [الإسراء:٤].

وجاءت بمعنى العهد فى قوله تعالى :

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ ﴾ [القصص:٤٤].

ووردت بمعنى « الفعل » كما فى قوله تعالى :

﴿ لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ [الأنفال:٤٢].

وإذا تأملنا هذه المعانى السابقة التى وردت بها مشتقات كلمة «القضاء» نجد أنها تلتقى عند معنى واحد هو إنجاز الشىء، فحكم الله وإرادته وخلقه وإيجاده وفعله .... كلها تقع فى حسم وإنجاز .

وكذلك عندما تكون كلمة (القضاء) مقترنة بلفظ (القدر) لا تخرج عن إنجاز القدر ووقوعه .

فالقضاء هو : وقوع المقدر ونفاذه متى جاء زمانه .

تعريف القضاء والقدر شرعا

لقد تعددت تعاريف القضاء والقدر ولكنها تجمع على معنى واحد وسنتناول بعض التعاريف على النحو التالى :

- عرف الإمام الطحاوى القدر بأنه : علم الله السابق فى كل كائن من خلقه فقدر ذلك تقديرا محكما مبرما ليس فيه نقص ولا زيادة ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا محول من خلقه فى سماواته وأرضه.
- وقال الإمام النووى فى معناه : إن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء فى القدم وعلم أنها ستقع فى أوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة فهى تقع حسب ما قدره لها .
- وعرفه أبو بكر جابر الجزائرى بأنه : علم الله الأزلى بكل ما أراد إيجاده من العوالم والخلائق والأحداث والأشياء وتقدير ذلك الخلق وكتابته فى اللوح المحفوظ كما هو حين يقضى بوجوده فى كميته وكيفيته وصفته وزمانه ومكانه وأسبابه ونتائجه بحيث لا يتأخر شىء من ذلك عن إبانه ولا يتقدم عما حدد له من زمان ولايتبدل فى كميته بزيادة أو نقصان ولا يتغير فى هيئته ولا صفته بحال من الأحوال.
- وقال شيخ الإسلام ابن تيميه فى القضاء والقدر : إن الله خالق كل شىء وربه ومليكه وقد دخل فى ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فلا يكون فى الوجود شىء إلا بمشيئته وقدرته ، ولا يمتنع عليه شىء شاءه بل هو قادر على كل

شىء ، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، فقد دخل فى ذلك أفعال العباد وغيرها وقد قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم ، قدر أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وكتب ذلك وما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة وغيره.

وعلى ضوء ما سبق نستطيع أن نعرف القضاء والقدر بأنه :

علم الله الأزلى بمقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها وكتابة ذلك فى اللوح المحفوظ ثم يوجدها على وفق ما قدره لها لا يخرج عن ذلك شىء لا أفعال الإنسان ولا غيره كما لا يخرج عن ذلك ما يصيب الإنسان وما يقع فى الكون من أحداث وغيره.

أركان القضاء والقدر

سبق تعريف القضاء والقدر بأنه علم الله الأزلى بمقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها وكتابة ذلك فى اللوح المحفوظ ثم يوجدها على وفق ما قدره لها لا يخرج عن ذلك شيء.

ومن خلال هذا التعريف يمكن أن نستنبط الأركان التى قام عليها القضاء والقدر وهى :

أربعة أركان كما يلى :

- الركن الأول : علم الله الأزلى.
- الركن الثانى : اللوح المحفوظ وكتابة المقادير.
- الركن الثالث : الخلق والإيجاد.
- الركن الرابع : المشيئة والقدرة.

وبمشيئة الله تعالى وعونه سنتناول هذه الأركان بشيء من التوضيح على النحو التالى :

الركن الأول : علم الله الأزلى

إن الله سبحانه وتعالى علم بالأشياء قبل وجودها وعلم ما سيحدث لها بعد وجودها وما يصدر منها وما يصيبها وعلم أعمال الخلق وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصى والأرزاق والآجال إجمالا وتفصيلا فياله من إله عظيم سبحانه وتعالى قال :

﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾[طه:٩٨] .

وقال تعالى :﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[الحج: ٧٠]

فالله سبحانه وتعالى وسع علمه كل شىء لا يخرج عن ذلك شىء قال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١]

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: ٤]

﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]

والعلم صفة كشف وليس صفة تأثير كما جاء فى الحديث عن عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مثل علم الله فيكم كمثل السماء التى أظلتكم والأرض التى أقلتكم فكما لا تستطيعون الخروج من السماء والأرض كذلك لا تستطيعون الخروج من علم الله وكما لا تحملكم السماء والأرض على الذنوب كذلك لا يحملكم علم الله» رواه ابن جرير.

والله سبحانه وتعالى علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم وعلم أرزاقهم وآجالهم وأقوالهم وأعمالهم وجميع حركاتهم وسكناتهم وسرائرهم وعلانياتهم.

فالله يعلم السر وأخفى ولا تخفى عليه خائنة الأعين وما تخفى الصدور : ولله در القائل [٥١٤٥ :٢٤]:

يا من يرى مد البعوض جناحه ... فى ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى نياط عروقها فى نحرها ... والمخ فى تلك العظام النحل
ويرى ويسمع ما دونها ... فى قاع بحر زاخر متجندل

وعن على بن أبى طالب ﷺ قال : « كنا فى جنازة فلما انتهينا إلى بقيع الغرقد قعد رسول الله ﷺ وقعدنا حوله فأخذ عوداً فنكت به الأرض ثم رفع رأسه فقال: ما منكم من نفس منفوسة إلا وقد علم مكانها من الجنة والنار وشقية أم سعيدة . فقال رجل من القوم : يا رسول الله ألا ندع العمل ونتكل على كتابنا فمنْ كان من أهل السعادة صار إلى أهل السعادة ومن كان من أهل الشقوة صار إلى الشقاء ، فقال رسول الله ﷺ: اعملوا فكل ميسر ، فمن كان من أهل الشقوة ييسر لعملها ، ومن كان من أهل السعادة ييسر لعملها ، ثم قال رسول الله ﷺ :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ [الليل] .. » رواه مسلم.

ومفهوم هذا الحديث أن الله سبحانه وتعالى علم منذ الأزل ما سيصدر عن عباده سواء كان خيرا أو شرا وبناءً على ذلك حـ منذ الأزل أهل الجنة من أهل النار.

وأيضا يفيد أن أهل الجنة هم الذين يعملون الصالحات ويتقون الله سبحانه وتعالى والله سوف يعينهم ويوصلهم إلى مرادهم وهو الجنة. وأن أهل النار هم الذين يعملون السيئات من التكذيب بالله واليوم الآخر والبعد عن منهج الله.

وقال ابن القيم عن علم الله :

وهو العليم أحاط علما بالذى ... فى الكون من سر ومن إعلان
وبكل شىء علمه سبحانه بالذى ... فهو المحيط وليس ذا نسيان
وكذلك يعلم ما يكون غدا وما ... قد كان والموجود فى ذا الآن

وعلم الله يتناول أيضاً ما لم يكن لو كان كيف يكون . قال تعالى فى تخلف المنافقين عن الجهاد مع رسول الله ﷺ:

﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾[التوبة:٤٧]

وقال تعالى عن أهل النار عندما تمنوا الرجوع إلى الدنيا ليعملوا الصالحات : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[الأنعام:٢٨].

وخلاصة القول أن الله سبحانه وتعالى قد أحاط بكل شىء علما ولا يخرج عن علمه شىء ، ولكن كيف يتفق القول بحرية الإنسان فى أفعاله ، والقول بأن أعمالنا لا تخرج عن دائرة العلم الإلهى المحيط ؟

ويجيب عن هذا التساؤل الشيخ الغزالى رحمه الله فى كتابه «عقيدة المسلم » بأن العلم من صفات الكشف وليس من صفات التأثير ويضرب الشيخ مثالا لذلك يقول قف أمام مرآة صافية وأنت عابس الوجه مقطب الجبين فماذا ترى؟ . سترى صورتك كما هى عابسة مقطبة أى

ذنب للمرآة فى ذلك ؟ . إن مهمتها أن تصف وأن تكشف وهى قد صدقت فيما أثبتت لك ، ولو كنت ضاحك الوجه لأثبتت لك علـى صفحتهـا خيـالا ضاحكا لا شـك فيـه ، وكذلك صفحـات العلـم الإلهـى ومرائيـه لا تتصـل بالأعمال اتصال تصريف وتحريك، ولكنـه اتصـال انكشـاف ووضـوح ، فهى تتبع العمل ولا يتبعها . غاية ما يمتاز به العلم الإلهى أنـه لا يكشـف الحاضر فقط ولكنه يكشف كذلك المـاضى والمستقبل، فـيرى اللـه تعـالى الأشياء على ما كانت عليه ، وعلى ما ستكون عليـه ، كمـا يراهـا وهـى كائنة سواء بسواء.

الركن الثانى : اللوح المحفوظ وكتابة المقادير

من الأحاديث التى تناولت اللوح المحفوظ بشىء من التعريف مارواه الحاكم فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: « مما خلق الله لوحا محفوظا من درة بيضاء ، دفتاه من ياقوتة حمراء ، قلمه من نور ، وكتابه نور ، وعرضه ما بين السماء والأرض ، ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة أو مرة ، ففى كل نظرة منها يخلق ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل مايشاء » رواه الطبرانى .

والله سبحانه وتعالى كتب فى اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة مقادير الخلائق ، فخلق الله القلم وقال له اكتب ماهو كائن إلى يوم القيامة ، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، ولقد ثبت ذلك فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

أولا – من القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[الحديد:٢٢].

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[التوبة:٥١].

ثانيا – من السنة :

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « أول شىء خلقه الله القلم ثم قال اكتب فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة » رواه أحمد والترمذى وصححه.

وقال الرسول ﷺ فى الحديث الذى رواه مسلم : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة... »، ومن ذلك قول الرسول لابن عباس ﷺ : « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لن ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لن يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» رواه الترمذى.

ومما تقدم يتضح شمول علم الله تعالى وإحاطته بكل شىء وكتابة ذلك فى اللوح المحفوظ . قال ابن القيم رحمه الله :

وكن بالذى قد خط باللوح راضيا فلا مهرب مما قضاه وخطه

أنواع التقدير وكتابتها

- **التقدير الأول** : وهو التقدير الأزلى الذى يرجع إليه كل تقدير وهو ما تناولناه بالشرح من أن الله كتب فى اللوح المحفوظ كل شىء.
- **التقدير الثانى** : التقدير يوم الميثاق قال تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾[الأعراف:١٧٢].

وفى (الموطأ): أن عمر بن الخطاب ﷺ سئل عن الآية السابقة فقال سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها فقال عليه الصلاة والسلام:«إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح بيمينه حتى استخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون »رواه الترمذى.
فالله سبحانه وتعالى علم ما سيصدر عن عباده سواء كان خيرا أو شرا وبناء على ذلك حدد منذ الأزل أهل الجنة من أهل النار.

– **التقدير الثالث** : التقدير عند تخليق النطفة . قال تعالى:

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ [النجم:٣٢].

وعن عبدالله بن مسعود قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : « إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث إليه الملك فينفخ فيه الروح ، ثم يؤمر بأربع : بكتب رزقه وعمله وأجله وشقى هو أم سعيد» أخرجه البخارى ومسلم .
ونتعرض للحديث بالتفصيل فى فصل (القدر الذى يتعلق بأفعال العباد).

– **التقدير الرابع : السنوى فى ليلة القدر** :
قال الله تعالى:﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[الدخان:٤]

قال ابن عباس ﷺ:«يكتب من أم الكتاب فى ليلة القدر ما يكون فى السنة من موت أو حياة أو رزق أو مطر. حتى الحاج يقال يحج فلان ويحج فلان».

- **التقدير الخامس : التقدير اليومى :**

قال تعالى : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن:٢٩] .

فالله سبحانه وتعالى يحدد معالم الوقائع والأحداث التى تقع فى كل يوم.

ولقد جاء فى الحديث:«ينظر الله فى اللوح المحفوظ كل يوم ثلاثمائة وستين مرة فى كل نظرة منها يخلق ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل الله ما يشاء سبحانه وتعالى فذلك قوله كل يوم هو فى شأن » رواه الحاكم والطبرانى.

الركن الثالث : الخلق والإيجاد

إن الله سبحانه وتعالى خلق كل شيء وأوجده قال تعالى :

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾[الأنعام:١٠٢].

وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[فاطر:٣].

فالله سبحانه وتعالى خلق الوجود بما يحوى من عوالم سفلية وعلوية كالسماء والأرض وما فيهما وما بينهما وهى عوالم كثيرة لا تحصى عددا ولا يحاط بها حدا وفيها من العجائب والغرائب ما يسلب العقول ملكة التفكير فيها ، ويكفى فقط أن ننظر إلى السماء الدنيا بما فيها من كواكب ونجوم سيارة خفية فى النهار ساطعة براقة بالليل على اختلاف أحجامها وأبعادها ومدارات أفلاكها قال تعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾[ق:٦].

بل الأرض التى نعيش عليها ونعمرها لا تقل عجباً من السماء، ففيها من العظمة والروعة عجائب كثيرة من الخلق عدداً، وكثرة وخصائص وطباع. قال تعالى:﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾[الذاريات :٢٠]

فهذا الكون متحدا متناسقا لا يعتريه الخلل، فهو صنع الله الذى أتقن كل شيء.

فالله سبحانه وتعالى خلق الوجود بما يحوى ، وكذلك ما نقوم بصنعة من الآلات والأشياء إنما هى خلق الله تعالى ؛ لأن الخلق هو

الإيجاد من عدم ، وكذلك الأشياء الناتجة من الاستنساخ هي من خلق الله، مع أن الإنسان تدخل وغير فيها ، ولم يكن الإنسان خالقا لها ؛ لأنه لم يوجدها من عدم . قال تعالى :﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[الصافات:٩٦] .

فالإنسان لايستطيع أن يوجد شيئا من عدم . قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج: ٧٣]

فالله سبحانه وتعالى هو المتصرف الأحد الذى له الحق المطلق الأعلى فى الإيجاد والإعدام والفعل والتصريف والتدبير والتغيير سبحانه وتعالى فهو قادر على أن يغير خصائص الأشياء قال تعالى:

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[الأنبياء:٦٩].

وهذا لا ينفى أن الله أعطى الإنسان القدرة على أن يتدخل ويغير فى خلق الله، ويبدله ويفسده وغير ذلك ، وكان ذلك فتنة للإنسان ، وابتلاء ولذلك من جملة ما أقسم عليه إبليس فى إضلال بنى أدم أن يدفعهم ليغيروا خلق الله كما ورد فى كتاب الله تعالى :

﴿ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء:١١٩].

الركن الرابع: المشيئة والقدرة

إن الله سبحانه وتعالى ماكان ليعجزه من شيء في الأرض ولا في السماء فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه سبحانه وتعالى وهو أحكم الحاكمين . قال تعالى :

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[يس:٨٢] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَآ إِنَّا نَسِينَـٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [السجدة] .

فليس معنى أن الإنسان يرتكب الذنوب والمعاصي التي حرمها الله عليه وحذره منها أن الله يعجز عن منعه عن هذه الذنوب .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾[فاطر].

فالله سبحانه وتعالى شاء أن يكون الإنسان شائياً مريداً فمنحه قدرة وإرادة ومشيئة ، وأمكنه من أن يمتثل أو يرفض بمحض إرادته

وكامل اختياره ليترتب على ذلك جزاء المحسنين بإثابتهم وعقوبة المسيئين ، ومع أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان حرا قادرا ، فحريته وقدرته بإذن الله وتحت مشيئته فلا يخرج شئ عن مشيئة الله ولا يقع شئ إلا بإذنه ، ولذلك إذا تعارضت مشيئة الإنسان مع مشيئة الله فلا مشيئة للإنسان بل سيكون مقهورا لا حرية له ولا اختيار ، وذلك سوف نراه واضحا جليا فى أقدار الله الكونية إن شاء الله .

قال تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[التكوير:٢٩] .

فمشيئة الله تعالى عامة شاملة تدخل فى سلطانها المطلق كل مشيئة ، فكل شيء خاضع لقدرة الله جارٍ على ما تقضى به حكمته ومشيئته ، وللاستفادة العملية مما تقدم نذكر هذا الحديث:

جاء رجل إلى أبى الدرداء فقال: يا أبا الدرداء قد احترق بيتك. فقال: ما احترق لم يكن الله عز وجل ليفعل ذلك بكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ، وقد قلتهن اليوم، ثم قال انهضوا بنا فانتهوا إلى داره، وقد احترق ما حولها ولم يصبها شيء، وهذه الكلمات هى: قال النبى ﷺ: من قال حين يصبح وحين يمسى: «اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم، ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، اعلم إن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما. اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى وشر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم، لم يصبه فى

نفسه ولا أهله ولا مالة شيء يكرهه » رواه ابن السني عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

نعم إذا أخلص الإنسان بينه وبين ربه وسار على منهجه تقبل الله دعاءه وحفظه من كل سوء ، فأبو الدرداء رجل تقي عابد إذا قال سمع الله لقوله، وأجاب دعاءه وصدق رسول الله ﷺ حيث قال : « رُبَّ أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره » رواه مسلم.

الباب الثالث

الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر عقيدة من العقائد الإسلامية التى أسست على الإيمان بالله عز وجل ، وبنيت على المعرفة الصحيحة لذاته العليا، وأسمائه الحسنى وصفاته العظمى . وقد بين الله سبحانه وتعالى أسمائه الحسنى وصفاته العظمى فى كتابه ، وجاءت على لسان رسوله ﷺ .

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[الأعراف:١٨٠].

وعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « إن لله تسعا وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » **رواه البخارى ومسلم** .

قال الإمام الشافعى ﷺ [٥]: إن لله صفات وأسماء لا يسع أحد ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل وتثبت هذه الصفات وتنفى عنه التشبيه كما نفى عن نفسه . قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى:١١] .

والإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العظمى قد استتبع الإيمان بمعانى هذه الأسماء ودلالتها حتى أن الذين ألحدوا فى هذه الأسماء إنما دافعهم إلى هذا هو محاولتهم نفى هذه المعانى وهذه الدلالات ، ولهذا ذهبوا إلى النكران والميل عن الحق ٠

ومن الدلالات التى استوجبتها أسماء الله الحسنى وصفاته العليا القضاء والقدر فهو علم الله الأزلى بمقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها وكتابة ذلك فى اللوح المحفوظ ثم يوجدها على وفق ما قدره الله لها لا

يخرج عن ذلك شيء ، ولذلك فإنه من أنكر القضاء والقدر فقد أنكر صفات الله سبحانه وتعالى من العلم الواسع والمشيئة العامة والقدرة المطلقة وبناء على هذا حكم بكفره ، فقد جاء في حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وان ما أخطأه لم يكن ليصيبه» صدق رسول الله ﷺ **رواة الترمذى.** ففى هذا الحديث ينفى الرسول الكريم الإيمان عمن لم يؤمن بالقدر، بالإضافة إلى هذا فقد ورد فى حديث عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:« ستة لعنتهم وكل نبى مجاب – واللعن الطرد من رحمة الله – الزائد فى كتاب الله والمكذب بقدر الله والمستحل لمحارم الله والمستحل من عترتى ما حرم الله وتارك السنة» **رواه الطبرانى وابن حبان .**

وروى مسلم فى صحيحه أول كتاب الإيمان من حديث يحيى بن معمر قال : «كان أول من قال فى القدر بالبصرة معبد الجهنى فانطلقت أنا وحميد ابن عبدالرحمن الحميرى حاجين أو معتمرين فقلنا :لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء فى القدر . فوفق لنا عبد الله بن عمر ابن الخطاب داخلا المسجد ، فاكتنفته أنا وصاحبى أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبى سيكل الكلام إلى فقلت : يا أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرءون القرآن ويتقفرون بالعلم ،وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال : فإذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أنى برئ منهم وأنهم براء منى ، والذى يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر » . ففى هذا الحديث نجد أن ابن

عمر قد تبرأ ممن أنكر القدر وذهب إلى أن الله لا يقبل أعمالهم ولا نفقاتهم فهم كمن قال الله فيهم :

﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾[التوبة:٥٤] .

وعن أبي الديلمي قال : أتيت أبي بن كعب فقلت : في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي فقال : لو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار قال : فأتيت عبدالله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت كل منهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ رواه الحاكم.

ومعنى قوله (وقع شي في نفسي من القدر) أي شك واضطراب يؤدي إلى الشك فيه أو إلى الجحود له ، فنجد أن صحابة رسول الله ﷺ قد اتفقوا على أنَّ الله لا يقبل من منكر القدر شيء ، فهو يتناوله قول الله تعالى : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[البقرة:٨٥] . ولذلك قال القرطبي : لاشك في تكفير من أنكر القدر لأنه جحد معلوما من الشرع بالضرورة وذلك بعد إقامة الحجة عليه.

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال رسول الله ﷺ:«لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر خيره وشره»رواه الترمذي. وفي هذا الحديث نجد أن رسول الله ﷺ ينفي الإيمان عمن أنكر القدر ولم يؤمن به.

وعن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: حدثني أبي قال: دخلت على عباده وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت: يا أبتاه أوصني واجتهد لي فقال: أجلسوني قال: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان ولن تبلغ حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره؟ وتعلم أن ما اخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، يا بني سمعت رسول اللهﷺ يقول:« إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له: أكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة، يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار». وفي رواية: « من مات على غير هذا فليس مني » رواه الترمذي.

والمعنى أن العبد لا يؤمن حتى يعلم أن ما أصابه قد قدر عليه ولم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه من الخير أو الشر لم يقدر عليه فالإيمان بذلك واجب ومن لم يؤمن بذلك وجبت له النار لكفره لأن الجاحد لعلم الله كافر كما ذهب إلى ذلك السلف الصالح وأئمة المسلمين قالوا ناظروا منكري القدر بالعلم فإن أقروا به فلا سبيل عليهم وإن أنكروا بعد العلم فقد كفروا، وعن جابر ابن عبداللهﷺ قال: قال رسول اللهﷺ :«إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم» رواه ابن ماجه.

ويعتبر منكر القضاء والقدر كافر لأنه أنكر معلوماً من الدين بالضرورة وهو ما يترتب عليه تكذيب المولى عز وجل في كتابه وتكذيب نبيه في سنته ، ولا نرى أشد من ذلك كفراً .

القيم التربوية للإيمان بالقضاء والقدر

الإنسان الذى يؤمن بالقضاء و القدر يراقب الله سبحانه وتعالى فى كل أعماله ويسعى للفوز برضاه وتنفيذ أوامره و البعد عن نواهيه فى السر والعلانية ؛ لان الله سبحانه وتعالى يعلم كل شىء ، فصاحب الإيمان الصحيح بالقضاء والقدر يعلم أن الأمر كله بيد الله تعالى مشيئة وتقديراً وإيجاداً ؛ ولهذا يستعين بالله فى طلب العون وحصول المراد فضلاً عن أن الإيمان بالقدر يبعث فى الفرد الراحة النفسية التى تعينه على شدائد الحياة ، وتحميه من أن يتسرب إليه اليأس أو يقعد به القنوط فى أى حال من الأحوال وإن غلقت فى وجهه كل أبواب الحياة أو ضاقت عليه مسالك العيش لأنه يعلم أن هذا قدر الله وإرادته.

قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان ٢].

فإيمان الإنسان بقضاء ربه وقدره يترتب عليه إيمانه بأن ما أصابه ما كان ليخطئه وما اخطأه ما كان ليصيبه ، فلا يندم ولا يتحسر على ما فاته ، ولا يبالغ فى السرور بما آتاه الله. قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد]

وذلك قمة التوافق النفسى الذى تنادى به نظريات علم النفس الحديثة .

وإن صاحب الإيمان بالقضاء والقدر ينهج منهج الصدق والاستقامة؛ لأنه مسلح ضد النفاق والكذب والمداهنة؛ لأنه يعتقد أن الغير لا يملك النفع ولا الضر، وإنما سبب لوصول ما قدره العليم الحكيم. فالشكر والصبر والرضا سمات من يؤمن بقضاء الله وقدره .

فالشكر إيماناً بفضل الله ، والتذرع بالصبر مثولاً لإرادة الله ، والرضا اعترافاً بعظمة الله، مما يعمل على راحة البال وطمأنينة القلب عند كل مفزع مهلع من أمور الدنيا .

الباب الرابع

أنواع القدر

أنـواع القــدر

المتأمل فى كتاب الله عز وجل ، والمتتبع لآيات القرآن الكريم ، والذى ينعم النظر فى أقوال المصطفى ﷺ ، والذى يتفكر فى أحوال العباد من حوله، وسنن الكون أمام ناظريه ، يدرك أن القضاء والقدر على نحوين واضحين ولكل منهما حكمه الخاص به ، وآثاره المترتبة عليه ، والخلط بين القسمين لاشك أنه مفسدة للأمور يوقع فى المحظور ، وتجاهل الفواصل بين القسمين يوقع الإنسان فى الغموض والاضطراب فى فهم مسألة القضاء والقدر:

القسم الأول : القدر الذى يتعلق بالوقائع الكونية (القدر العام).

وهذا النوع من القدر يشمل الكون كله وما يجرى فيه من أحداث لا يد للإنسان فيها ولا قدرة له على دفعها .

القسم الثانى : القدر الذى يتعلق بأفعال العباد الاختيارية (القدر الخاص)

وهى الأفعال التى يستطيع الإنسان فيها التصرف وفق إرادته وهى موضع الثواب والعقاب.

وبمشيئة الله تعالى وعونه سوف نفرد لكل قسم فصل مستقل :

الفصل الأول

القدر الذى يتعلق بالوقائع الكونية

إن هذا الكون الضخم قد سيرته وأحكمته أنظمة من السنن الإلهية، ونواميس ربانية دقيقة ومدهشة ، فصار متحداً متناسقاً لا يعتريه الخلل ، فهو صنع الله ومن أحسن من الله صنعاً؟، وفيه من الوقائع والأحداث الهائلة ما يعجز العقل عن حصرها ، وكل حادثة لها أسبابها ونتائجها الخاصة بها ، وكل شيء له حكمة متوخاة أرادها الله سبحانه وتعالى ، فهو المتصرف فى هذا الكون المدبر لأمره .

قال تعالى:

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾[آل عمران]

سبحان الله هو صاحب العزة والجبروت، وكل شيء تحت قهره وسطوته، فهو يحى ويميت، ويعز ويذل، ويمنع ويعطى، ويفعل ما يشاء.

فالوقائع والأحداث الكونية تقع بمشيئة الله وإرادته وبمحض قدرته تعالى، فهى تنفذ فى الناس طوعا أو كرها ، ولا دخل لإرادة الإنسان فيها، وكلها شئون يبديها ولا يبتديها ؛ لأن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة .

فالله عز وجل وضع نظام هذا الكون قبل وجوده ، فقدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكل شيء في هذا الكون يتم على مقتضى التقدير الأزلي القديم ، وهذا النوع من القدر هو مراد الله في قوله تعالى:﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[الحديد:٢٢] .

ويدخل في هذا النوع من القدر كل ما يقع للإنسان ، ولا دخل لإرادته فيه سواء كان خيراً أو شراً ، حسناً كان أم قبيحاً ، فما دام قد أصاب الإنسان ولا دخل لإرادته واختياره فيه فهو من أقدار الله الكونية، فالمولى عز وجل يبتلي عباده بالصنع الجميل ، والفضل والمال ليمتحن شكرهم . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ﴾[التغابن:١٥] .
أي بلاء واختبار ، ويبتلي عباده بالمصائب والهموم والأحزان ليمتحن صبرهم ، فالدنيا دار ابتلاء وليست دار نعيم ، ومادام الإنسان يعيش فيها فلا مفر من الابتلاء ، ولذلك يستنكر المولى عز وجل أن يفهم الإنسان انه يعيش بغير ابتلاء واختبار .

قال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾[القيامة:٣٦] .

والهدف من البلاء هو كشف سرائر العبد ودخائله ونواياه حتى تكون في صورة أعمال يجازى عليها إما في الدنيا أو الآخرة .
قال تعالى : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ ﴾ [العنكبوت:٣] .

جاء فى تفسير القرطبى: لم يخلق الله خلقاً يكابد مثل ابن آدم، فهو يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة ، وأول ما يكابد قطع سرته، ثم يكابد الارتضاع، ولو فاته لضاع، ثم يكابد نبت أسنانه، وتحرك لسانه، ثم يكابد الفطام، الذى هو أشد من اللطام، ثم يكابد الختان، والأوجاع والأحزان، ثم يكابد المعلم وصولته، والمؤدب وسياسته، والأستاذ وهيبته، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه، ثم يكابد شغل الأولاد والأجناد، ثم يكابد الكبَر والهرم. فهو يكابد مصائب يكثر تعدادها، ونوائب يطول إيرادها من صداع الرأس، ووجع الأضراس، ورمد العين، وغم الدين، ووجع السن، وألم الأذن، ويكابد محناً فى المال والنفس مثل الضرب والحبس، ولا يمضى عليه يوم إلا يقاسى فيه شدة، ولا يكابد إلا مشقة، ثم الموت بعد ذلك كله، ثم مساءلة الملك، وضغطة القبر وظلمته، ثم البعث والعرض على الله إلى أن يستقر به القرار إما فى الجنة وإما فى النار. قال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾[البلد:٤]. فلو كان الأمر إليه لما اختار هذه الشدائد ، ودل هذا على أن له خالقاً دبر أمره، وقضى عليه بهذه الأحوال ، فالأجدى له أن يمتثل أمر ربه .

الاعتذار بالأقدار الكونية

لقد أدركنا أن أقدار الله الكونية يقضيها الله ، ولا دخل لإرادة الإنسان فيها ، فهي تنفذ في الناس طوعا أو كرها ، وبناءً على ذلك يجوز للإنسان أن يعتذر بأقدار الله الكونية إذا حالت بينه وبين بعض الواجبات الملقاة على عاتقه؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها . فالأمور إذا خرجت عن إرادة الإنسان وتعلقت بأقدار الله الكونية فلا حساب فيها ولا عقاب .

ولقد احتج أدم عليه السلام بالقدر الكوني عندما وجه له سيدنا موسى عليه السلام دعوى أنه هو السبب في وجود البشر على الأرض وذلك لأن وجود البشر على الأرض أمر قدره الله لا دخل لأدم عليه السلام فيه حيث قال تعالى قبل أن يخلق أدم: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[البقرة:٣٠] .

فهذا أمر قدره الله قبل أن يخلقهم ، ولذلك ما فهمه موسى عليه السلام ليس بصحيح ؛ لأن وجود أدم في الجنة كان مؤقتا بمثابة درس عملي يحذر المولى عز وجل به البشرية جميعا من الشيطان الرجيم ، ففي رواية لأصحاب السنن:

قال موسى : يا رب أرنا أدم الذى أخرجنا ونفسه من الجنة. فأراه أباه أدم عليه السلام.

فقال موسى : أنت أبونا أدم الذى نفخ الله فيك من روحه وعلمك الأسماء كلها وأمر الملائكة أن يسجدوا لك . قال : نعم .

قال : فما حملك أن تخرجنا ونفسك من الجنة .

قال آدم : فمن أنت ؟ قال : موســـــى .

قال : كلمك الله من وراء الحجاب ولم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه ؟ قال: نعم . قال : فما وجدت أن ذلك كان فى كتاب الله قبل أن أخلق .

قال : بلى ! قال آدم : أفتلومنى فى شىء سبق فيه من الله القضاء قبلى.

قال النبى ﷺ : فحج آدم موسى فحج آدم موسى فحج آدم موسى .

وما تقدم يتضح أنه إذا حالت الوقائع الكونية بين الإنسان وبين بعض الواجبات المكلف بها ، جاز له أن يعتذر بالقدر . وليس معنى هذا أن يستسلم الإنسان للوقائع الكونية ، بل عليه أن يقاومها ويتوقاها، فإن أصابه شىء منها فليرضى بقضاء الله ، وهذا المعنى يتجسد فى حديث النبى ﷺ : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وإن أصابك شىء فلا تقل : لو أنى فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن (لو) تفتح عمل الشيطان » رواه مسلم .

الفصل الثاني

القدر الذى يتعلق بأفعال الإنسان

القدر الذى يتعلق بأفعال الإنسان

إن الإنسان حر فى أن يختار فعلاً من فعلين، أو يختار وجها من عدة أوجه ممكنة للفعل، وأيا كان هذا الاختيار فهو لا يخرج عن علم الله، أو قدره، فلقد شاء الله أن يجعل الإنسان حراً مريداً فمنحه قدرة وإرادة، وتلك القدرة والإرادة صالحة للضدين، فيستطيع أن يسلك طريق الخير كما يستطيع أن يسلك طريق الشر. فالإنسان فاعل حقيقة لأفعاله لأن العبد كما يمكنه الفعل يمكنه الترك ولكن لا يقال إن الإنسان خلق أفعاله؛ لأننا كما علمنا أن الخلق هو الإيجاد من عدم، والإنسان لايوجد أفعاله من عدم، وإنما يوجدها ويحدثها بناءً على القدرة التى خلقها الله فيه.

ولتوضيح ذلك نقارن بين التمثال (صنم) والإنسان فالتمثال ليس لديه القدرة على الفعل أو الإرادة أما الإنسان فلديه القدرة على الفعل فمن الذى خلق القدرة والإرادة على الفعل فى الإنسان ؟ إنه الله سبحانه وتعالى خالق كل شىء. قال تعالى ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩﴾[الحجر]

ولنفرض جدلاً أن تمثالاً تحرك وفعل أفعالا بدون مؤثر خارجى عليه فعل هذا من نفسه ، فى هذه الحالة نقول أن هذا التمثال خلق أفعاله، أما فى حالة أن ينفخ الله فيه من روحه ويهبه الحياة ويمكنه من الفعل والترك ، فلا يقال أنه خلق أفعاله ، بل الله هو الذى خلق فيه القدرة وأمكنه على الفعل.

فأفعال العباد كلها مخلوقة لله سواء الأفعال الاضطرارية وهى ما ليس للعبد معها قدرة وإرادة واختيار كحركة نبض القلب وارتعاش المريض.

وكذلك الأفعال الاختيارية وهى ما للعبد معها قدرة وإرادة واختيار، ومنها الأفعال التى تتعلق بالطاعات والمعاصى وفيها الإنسان حر فى أن يختار فعلاً من فعلين ، أو وجهاً من عدة أوجه ممكنة ، وبهذا تتقرر الحرية الإنسانية، وتتأكد مسئولية الإنسان الكاملة عن أفعاله ؛ لأن العبد عندما يختار المعصية إنما يختارها بمحض إرادته وبكامل حريته ، فهو ليس مجبوراً ولا مقهوراً وإلا بطلت التكاليف وبطل الثواب والعقاب، فالله تعالى لا يكلف عبداً ما لا قدرة له عليه .

قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾[الطلاق:٧] .

والحكمة من خلق الناس هى عبادة الله ، وأن الله سوف يجازيهم على طاعتهم ، ويحاسبهم على تقصيرهم ؛ فلابد أن يكونوا أحرارا مختارين قادرين على الأفعال المحاسبين عليها ، وبهذا تثبت الحرية الإنسانية القائمة على الاختيار والاستطاعة على الفعل تمكيناً من الله سبحانه وتعالى ، فهو لم يخلقنا لأمر ثم حال بيننا وبينه ؛ لأنه ليس بظلام للعبيد .

وعلى كل ما سبق كان منهج القرآن العظيم حيث أثبت الحرية والاختيار للإنسان فى آيات كثيرة :

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[الكهف:٢٩].

وقال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ [الإنسان: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ نَذِيرًا لِّلۡبَشَرِ ٣٦ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ٣٧ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨ ﴾ [المدثر]

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾ [النبأ: ٣٩].

فنجد أن القرآن يخاطب الإنسان على اعتبار أنه قادر وأنه حر يستطيع أن يختار طريق الإيمان كما يستطيع أن يختار طريق الشر.

ومع أن الإنسان له قدرة وإرادة ، فيستطيع أن يوجه الفعل كيفما شاء، فلا ننسى أن الله هو الذى وهبه هذا، وأن قدرة الله مطلقة ولايعجزها شيء فى الأرض ولا فى السماء، فكل شيء خاضع لقدرته جار على ما تقضى به حكمته ومشيئته. فالله سبحانه وتعالى هو الذى شاء أن تكون للإنسان مشيئة واختيار ، ولذلك إذا تعارضت مشيئة الإنسان مع مشيئة الله فلا مشيئة للإنسان .

قال تعالى : ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩ ﴾ [التكوير] .

فحرية الإنسان واختياره إنما هى بإذن الله ومشيئته ، فلا تخرج شيء عن مشيئة الله ، ولا يقع شيء إلا بإذن الله سبحانه وتعالى ، وهذه الآية ومثيلاتها تقرر الحق المطلق لله فى التصرف والتدبير ، وهى لا تتعارض مع الآيات التى تسند الفعل أو العمل للإنسان .

ومع أن الله ترك الحرية والاختيار للثقلين الجن والإنس في تحديد مصيرهم إما إلى الجنة أو النار فهو لايرضى ولا يحب أن يسلكوا طريق الشر.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر: ٧].

والله تعالى لا يحب لعباده السوء بل يحب لهم الخير واليسر .

قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وحكمة الله تعالى من البشر أن يعبدوه بإرادتهم واختيارهم لاجبرا عنهم وقهرا كما هو فى الملائكة ، ولذلك يقول المولى عز وجل :

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٥] .

فلو شاء الله أن يحول بين العبد وبين فعله الطاعة أو المعصية لفعل وهو على كل شيء قدير ولكنه أراد أن يترك البشر وما اختاروا لأنفسهم .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١] .

ولأنه خلق الإنسان ليبتليه فى هذه الدنيا على أن يجازيه فى الآخرة ولذلك ترك له الحرية والاختيار.

قال تعالى ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك] .

التعلل بالقضاء والقدر للذنوب

ويراد به الاعتذار عن الذنب بالقدر لدفع اللوم والمؤاخذة ، وبعبارة أخرى إرادة الشخص العاصى التنصل من المسئولية ودفع استحقاق العقاب واللوم على ما اقترفه من المعصية مستندا فى ذلك على أنها وقعت بمشيئة الله تعالى وإرادته. فالتعلل بالقضاء والقدر بهذا المعنى حرام.

فلقد كانت عقيدة المشركين قبل الإسلام التعلل بالقدر لدفع اللوم والمؤاخذة وذلك بنسبة السيئات والشرور إلى مشيئة الله ، كما جاء فى كتابه العزيز:

﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٨]

والله سبحانه وتعالى ذم المشركين وأنكر عليهم احتجاجهم كما فى الآية. قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام:١٤٨].

ولما عم الإيمان شبه الجزيرة العربية انتفت تلك المقالة واختفت، ولكنها لم تعدم عند أفراد شذوا عن المجتمع الإسلامى.

وفى عهد عمر أتى بسارق فقال له عمر: « لما سرقت؟ قال قضى الله علىّ. فأمر عمر به فقطعت يده وضرب أسواطا. فسأل فى ذلك فقال عمر: القطع للسرقة، والجلد للكذب على الله » رواه أحمد.

ولقد قيل لعبدالله بن عمر إن قوما يفعلون الذنوب ويقولون كان في علم الله ، قال سبحان الله العظيم قد كان في علم الله أنهم يفعلون ولم يحملهم علم الله على فعلها ، حدثني أبي عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول مثل علم الله فيكم كالسماء التي أظلتكم والأرض التي أقلتكم فكما لا تستطيعون الخروج من السماء والأرض كذلك لا تستطيعون الخروج من علم الله وكما لا تحملكم السماء والأرض على معصية الله كذلك علم الله لا يحملكم على معصيته) رواه ابن جرير.

أما في عهد علي رضي الله عنه فقد ظهرت فتن وحروب واضطرابات مما جعل بعض المفاهيم الخاطئة تظهر بين بعض المسلمين الذين ابتعدوا وانشقوا عن جماعة المسلمين، ثم عهد الأمويين وكانوا قوماً فيهم جاهلية، فوجد بعضهم في فكرة الجبر والتنصل من الذنوب منطلقا عقيدياً لعملهم السياسي يثبتون به سلطانهم بين الناس فمنهم من كان يسفك دماء المسلمين ويأخذ أموالهم ويقول بقول المشركين إنه بقدر الله وأدخلوا أيضا من المفاهيم البعيدة عن دين الله أنهم ولاة انتخبهم الله وعلى المسلمين السمع والطاعة وكل هذه الأفكار الهدامة ما أراد منها هؤلاء الحكام إلا تثبيت ملكهم فجلبوها من مجتمعات بعيدة عن دين الله وأرادوا أن تستشري بين المسلمين بهدف تثبت أركان الحكم وانشغال الناس بغير السياسة.

وعن التعلل بالقضاء والقدر عن الذنوب يتحدث شيخ الإسلام ابن تيمية قائلاً : ومن لم يقر بأمر الله ونهيه ووعده ووعيده بل ترك ذلك محتجا بالقدر فهو أكفر ممن آمن ببعض وكفر ببعض ، ثم يستدل على بطلان الاحتجاج بالقدر بعدة أوجه حاصلها مايلي :

(١) لو كان القدر حجة للعبد فى فعل المحرمات وترك الواجبات للزمه أن لا ينكر على من يظلمه أو يشتمه ويأخذ ماله وينتهك حرمته ويضرب عنقه ويهلك الحرث والنسل وهذا غير مقبول عقلا.

(٢) لو كان القدر حجة للعبد لزم أن يكون إبليس وفرعون وقوم نوح وقوم هود وكل من أهلكهم الله بذنوبهم معذورون ، وهذا من الكفر الذى اتفق عليه أرباب الملل.

(٣) لو جاز الاحتجاج بالقدر لزم عدم التفرقة بين المؤمن والكافر والمطيع والعاصى واللازم باطل بدليل قول الله تعالى:

﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ [ص: ٢٨]

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ ﴾ [الجاثية: ٢١]

(٤) لو كان الاعتذار بالقدر مقبولا لبطلت الحكمة فى العقوبات والحدود، وتعطلت الأوامر والنواهى ، ولم يعذب الله أحداً فى الدنيا ولا فى الآخرة، بل من يحتج بالقضاء والقدر على الذنوب فقد افترى على الله ونسب العبث إليه سبحانه وتعالى ، فالاحتجاج بالقضاء والقدر على الذنوب والمعاصى لمن يعيه ويدركه ليس بالحرام فقط بل هو عين الكفر لمن أدرك معناه.

قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون]

إن الحكم إلا لله

إن الله سبحانه وتعالى وحده هو الذى يعرف أهل الجنة من أهل النار ، أما نحن البشر فلا يجوز لنا بأى حال من الأحوال أن نحكم على أحد أنه من أهل النار أو الجنة ؛ لأننا لا نطلع على النوايا أو الأسرار ؛ ولأن الأحوال لا تدوم فالمؤمن قد يكفر ويموت كافراً ، والفاجر قد يؤمن ويموت على الإيمان ، بل نحن لا نعلم حقائق الأشياء، ولا نعلم هل تقبل الله منا أعمالنا أم ردها علينا.

فعن أبى هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه – الله – نعمته– عليه – فعرفها ، قال الله تعالى : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال: جرئ وقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه– الله – نعمته فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ وقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمته فعرفها . قال فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت فيه لك . قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد وقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى فى النار» **رواه الإمام مسلم .**

فالإخلاص لله فى العمل هو سر تقبل الأعمال أو ردها ..

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾[البقرة:٢٦٤].

فيجب علينا أن نتحرى الإخلاص لله فى العمل حتى يقبل منا أعمالنا وننتفع بها ونموت على الإيمان .

قال تعالى ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[إبراهيم:٢٧].

فالإنسان إذا أخلص العمل لله نفعه الله به وختم له بخاتمة السعادة، وقد روى فى صحيح البخارى عن سهل بن سعد الساعدى قال: نظر النبى ﷺ إلى رجل يقاتل المشركين وكان من أعظم المسلمين عناء عنهم أى كفاية عنهم فقال من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا ، فتبعه رجل فلم يزل على ذلك - أى يتابعه - حتى جرح فاستعجل الموت فقام بذبابة سيفه فوضعه بين ثدييه فتحامل عليه حتى خرج من بين كتفيه – أى أنتحر – فقال النبى ﷺ : إن العبد ليعمل فيما يرى للناس من عمل أهل الجنة وإنه لمن أهل النار ، ويعمل فيما يرى الناس عمل أهل النار وهو من أهل الجنة ، وإنما الأعمال بالخواتيم » صدق رسول الله ﷺ.

ونجد فى هذا الحديث قوله ﷺ : « إن العبد ليعمل فيما يرى الناس عمل أهل الجنة » . فهذا يقتضى بأن الرجل لم يكن مخلصا فى عمله بل كان يرائى، ولأن الله سبحانه وتعالى يثبت عباده المؤمنين المخلصين بالقول الثابت فى الحياة الدنيا والآخرة .

وكذلك يحذرنا الإسلام من ترك منهج الله فى أى لحظة لأن الإنسان لا يأمن عمره وخاصة فى الاعتقاد لأن كفر ساعة يمحو كل ماسبق من إيمان ويبطله وجاء فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها عن أحمد مرفوعا : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة وهو مكتوب فى الكتاب الأول من أهل النار فإذا كان قبل موته تحول فعمل عمل أهل النار فمات فدخلها » . فالإنسان هو الذى يتحول من نفسه من عمل إلى آخر والله لا يكره الإنسان على فعله .

قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[الرعد:١١].

ومع أن الله قادر على كل شىء فهو ترك للإنسان الحرية والاختيار بين الكفر والإيمان ليجازى المسيئين على إساءتهم ويثيب المحسنين على إحسانهم.

وكما سبق أن عرفنا أن علم الله وسع كل شىء وهو صفة كشف وليست صفة تأثير فعن عبدالله بن مسعود قال حدثنا رسول ﷺ وهو الصادق المصدوق: « إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث إليه الملك فينفخ فيه الروح ثم يؤمر بأربع يكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أم سعيد فوالذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها» رواه البخارى .

وبهذا الحديث يحذرنا الرسول الكريم من المعاصى لأن الإنسان لا يعلم متى ينتهى أجله فقد يقدم على معصية وتكون عندها نهاية أجله أو يموت قبل التوبة وبالتالى يكون من أهل النار حتى تنتهى سيئاته ولا يبقى عليه شىء.

سبحانه وتعالى هو الحكم العدل الذى ملأ كل شىء عدلا فلا يحب الظلم ولا يأمر به قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[النساء: ٤٠].

وقال تعالى:

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]

وجاء فى الحديث القدسى: { ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا } رواه مسلم.

فالله سبحانه وتعالى لا يظلم أحداً ولكن الناس هم الظالمون. قال تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[النحل: ٣٣].

الفصل الثالث

التربية وأنواع القدر

التربية وأنواع القدر

لقد اتضح مما تم سرده أن القدر نوعان :

(أ) القدر الذى يتعلق بالوقائع الكونية.

(ب) القدر الذى يتعلق بأفعال العباد.

وفيما يتعلق بالنوع الأول :

يتمثل دور التربية فى توضيح عظمة الله والاعتماد عليه وحده وأن الأمر بيده خلقا ومشيئة ولهذا يجب الاستعانة بالله وحده جل شأنه وعظم سلطانه ، ليس هذا فحسب بل يجب توضيح أهمية العمل بما جاء به القرآن الكريم ، والإقتداء بالرسول ﷺ لتحلية النفوس من الرذائل التى تنعكس على الجوانب الإيمانية ، كما يجب على التربية غرس وتنمية إحساس الفرد بحاجته المستمرة إلى الله ، وأنه لا يوجد أحد يستطيع تحقيق الحاجات والرغبات ويمنع المصائب فى كل الأحوال إلا الله سبحانه وتعالى الذى يدبر أمر هذا الكون وينظم شئونه فلا يقع فى الكون شىء إلا بإذنه ولعلة يعلمها هو سبحانه وتعالى.

فالوقائع الكونية لها حكم متعددة من قبل المولى عز وجل فهى على سبيل المثال قد تكون امتحان للعبد لمعرفة قوة إيمانه ومدى اتصاله بربه جل شأنه لأن الدنيا فى حقيقة الأمر دار بلاء ولكن فى جميع الأحوال يجب الرضا بقضاء الله وهذا غاية الفكر التربوى المستنير فنحن ملك الله والمالك يتصرف فى ملكه كيف يشاء ومتى يشاء وحسبما يشاء.

أما فيما يتعلق بالنوع الثانى :

فيجب إدراك أن الله خلق الإنسان حراً فى توجيه طاقته المخلوقة من الله ، إما للطاعة وإما للمعصية حتى يكون الحساب عدلا . وهنا يبرز دور التربية فى غرس وتنمية مفهوم مسئولية الإنسان عن أفعاله، وبالرغم من أن الله تعالى خالق الأشياء ومنها أفعال الناس ، وأن ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فإن الإنسان مسئول عن أفعاله ، ويجزى عليها بالثواب والعقاب .

والقدر لا يصلح حجة لأحد لدفع المسئولية عن نفسه؛ لأنه لو كان حجة لأحد لما عذب الله أحداً ؛ ولأن القدر يتعلق بصفة العلم التى تكشف الأشياء ولا تؤثر فيها ، ويتطلب ذلك اهتمام التربية بأهمية مجاهدة النفس، وإلزامها الطاعة والإقبال على كل عمل فيه رضا الله تعالى ، والبعد عن المعصية والرذائل وطرق سبيل الخير والسعى فيه وترك سبيل الغى والابتعاد عنه ، وذلك حتى يفوز الإنسان برضا الله ، فيدخله الله فى رحمته ، ويناله برضوانه ، ويدخله جنته التى قال الله عنها فى الحديث القدسى :

« أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » **رواه البخارى ومسلم.**

الباب الخامس

الصبر على أقدار الله

الفصل الأول

ماهية الصبر على أقدار الله ¹

الصبر لغة : الحبس والمنع. وشرعا هو حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن الشكوى والسخط ، وحبس الجوارح عن معصية اللـه. فالصبر يقوم على هذه الأركان الثلاثة التى إذا قام بها العبد كما ينبغى تحولت المحنة إلى منحة وصار المكروه محبوبا وأصبحت البلية عطية.

وللصبر أسماء مختلفة فمثلا الصبر على إيذاء الآخرين يسمى حلما ، والصبر على عدم الغرور بالثروة والمال يسمى ضبط النفس ، ويقابله البطر، والصبر على عدم إفشاء السر يسمى كتمان السر ، والصبر على عدم الفرار عند لقاء العدو يسمى شجاعة ويقابله الجبن.

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى بالصبر وأخبر أنه مع الصابرين فقال تعالى :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[البقرة:١٥٣]، ومعية الله سبحانه وتعالى تقتضى الحفظ والنصر والتأييد. وأثنى على الصابرين فقال تعالى:﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[البقرة:١٧٧]

فالصبر كله خير فى الدنيا والآخرة ، وقد أخبر تعالى أنه يعطى على الصبر الجزيل من الجزاء ، وأن جزاء الصابرين بغير حساب .

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر:١٠] .

وفي الحديث الصحيح « الصبر ضياء » رواه البخاري.

وقال علي ﷺ: « إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ثم رفع صوته فقال ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له » رواه ابن حبان.

أنواع الصبر على أقدار الله

ينقسم الصبر على أقدار الله إلى نوعين : الأول الصبر على أقدار الله الكونية وهو الصبر على البلاء الذى لا كسب للعبد فيه ولا اختيار له فى وقوعه ، أما النوع الثانى من الصبر فهو يتعلق بأفعال العباد . ونوضح ذلك على النحو التالى :

النوع الأول : الصبر على أقدار الله الكونية

إن الله سبحانه وتعالى خلق الدنيا أتقن دار للابتلاء فهى دار متاعب ومصائب وكروب ، وعلى الإنسان أن يعلم أن كل مصيبة تأتيه إنما هى من عند الله ، وأنها بقضاء الله وقدره ، وأنه جل وعلا ابتلاه ليمتحن صبره ورضاه . فإن وفق العبد بالرضا والشكر فقد أفلح وإن تسخط ولم يرض فقد خاب وخسر.

قال تعالى:﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[هود]

سبحانه وتعالى يبتلى الخلق جميعاً ولكن لا يستفيد من هذا البلاء إلا عباده المؤمنين . فعن أنس بن مالك أنه دخل على عائشة هو وأبو بكر الصديق فقال لها أبو بكر: يا أم المؤمنين حدثينا عن الزلزلة فقالت :

« إذا استباحوا الزنا وشربوا الخمور وضربوا بالمعازف غار الله عز وجل فى سمائه فقال للأرض تزلزلى بهم. فإن تابوا ونزعوا وإلا أهدميها عليهم ، قال يا أم المؤمنين أعذابا لهم قالت : بل موعظة ورحمة للمؤمنين ونكالاً وسخطاً وعذاباً على الكافرين » رواه ابن أبى الدنيا.

فما دمنا نعيش فى هذه الدنيا فالبلاء لا مفر منه ولكن على المؤمن أن يكون صابراً محتسباً.

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤] فمن ابتلاه الله بنقص فى ماله أو منعه شيئا من شهوات الدنيا ولذاتها الفانية أو قبض له نفسا أبا أو ولدا أو قريبا أو صديقا أو غير ذلك، أو أخافه الله من عدو فصبر فإن الله سبحانه وتعالى يبشره بالخير والثواب الجزيل فى قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٥٥) ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ (١٥٦) ﴾ [البقرة]

ولله در القائل [٢٧: ١٨٣]:

إذا اشتدت البلوى تخفف بالرضا	عن الله قد فاز الرضى المراقب
وكم نعمة مقرونة ببلية	على الناس تخفى والبلايا مواهب

فعلى الإنسان إدراك أن لله ما أخذ ، ولله ما أعطى ، ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ، وأن ما أصابه إنما هو بقضاء الله وقدره ، فإذا أيقن بهذا هانت عنده البلوى وتحقق الصبر وفاز بالأجر والمثوبة ، ومن ذلك ما صدر عن أم سليم عند وفاة ابنها فعن أنس ﷺ قال : كان ابن لأبى طلحة ﷺ يشتكى فخرج أبو طلحة فقبض الصبى فلما رجع أبوطلحة قال : ما فعل ابنى ؟ قالت أم سليم وهى أم الصبى : هو أسكن ماكان ، فقربت إليه العشاء فتعشى ثم أصاب منها فلما فرغ قالت ؟ واروا الصبى ، فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال « أعرستم الليلة » قال نعم : قال : اللهم بارك لهما فولدت غلاما فقال أبو طلحة لأنس : إحمله حتى تأتى به النبى ﷺ وبعث معه بتمرات ، فقال النبى لأنس: أمعه شيء، قال: نعم تمرات ، فأخذها النبى ﷺ فمضغها ثم أخذها من فيه فجعلها فى فم الصبى ثم حنكه وسماه عبد الله . **متفق عليه.**

وفى رواية البخارى: قال ابن عطية: فقال رجل من الأنصار: رأيت تسعة أولاده كلهم قد قرأوا القرآن يعنى من أولاد عبدالله المولود الذى دعا له النبى ﷺ . وهذا الموقف إنما صدر عن عقيدة صحيحة لأم سليم فقد جاء فى رواية مسلم « قالت لزوجها : يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم قال لا فقالت : فاحتسب ابنك » . فهذه امرأة آمنت حق الإيمان فصبرت واحتسبت ، ونسأل الله أن يهدى نساء المسلمين فيقتدين بأم سليم رضى الله عنها .

والصبر الحقيقى الذى يثاب عليه العبد هو الصبر الذى يكون عند فجأة المصيبة وذلك لأن الوقائع الكونية نافذة فى الناس طوعا أو كرها ،

فالصبر عليها يكون عند الصدمة الأولى ، فعن أنس ﷺ قال : مر النبى ﷺ بامرأة تبكى عند قبر فقال : اتقى الله واصبرى ، فقالت : إليك عنى فإنك لم تصب بمصيبتى ولم تعرفه ، فقيل لها إنه النبى ﷺ فأتت باب النبى ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت لم أعرفك ، فقال : « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » متفق عليه .

والحق أن الصبر على البلاء أمر واجب يعكس الرضا بقضاء الله وقدره والله سبحانه وتعالى يعطى الكثير من العطايا والمنح الإلهية ، فمن ثواب الصبر وعطاياه التى يمنحها الله لمن صبر واحتسب وأرجع الأمر إلى مولاه هداية القلب والتوفيق .

قال تعالى:﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١١]

قال رجالات التفسير فيها: أن من أصابته مصيبة فعلم أنها بقدر الله فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه وعوضه عما فاته من الدنيا هدىً فى قلبه ويقيناً صادقاً وقد يخلف الله عليه فى الدنيا ما أخذ منه.

والله سبحانه وتعالى يحب أن يخرج عبده المؤمن من الدنيا وما عليه من ذنب، ولذلك إذا ارتكب الإنسان بعض المعاصى فى الدنيا ، ابتلاه الله تعالى حتى يغفر له خطاياه. قال تعالى:

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠]

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ « مايزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة» رواه الترمذى . فالله سبحانه وتعالى يكفر الذنوب بالمصائب التى تنزل على العبد فى الدنيا وهذا فيه خير كثير للعبد فعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« إذا أراد الله بعبده خيرا عجل له العقوبة فى الدنيا وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة » رواه الترمذى أعاذنا الله من عذاب جهنم.

ولكنا نرى أحيانا أن المولى عز وجل قد يبتلى طفلاً صغيراً أو نبياً من الأنبياء فما فائدة البلاء إذا لم يكن للعبد ذنوب أو معاصى يوضح هذه الفائدة للعبد حديث عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ «إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل فما يزال يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها » رواه ابن حبان ، وعلى هذا يكون بلاء الأنبياء فإن الله اصطفاهم على العالمين ويريد أن يعطيهم أفضل المراتب فى الجنة فعن مصعب بن سعيد عن أبيه قال قلت يا رسول الله: أى الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان فى دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان فى دينه رقة ابتلاه الله عى حسب دينه. فما يبرح البلاء فى العبد حتى يمشى على الأرض وما عليه من خطيئة » رواه الترمذى . فنسأل الله أن نكون من الصابرين ويجعلنا من الذين قال الله عنهم :-

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[فصلت:٣٥] .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴾[الفرقان: ٧٥]

﴿ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾[المؤمنون:١١١].

النوع الثانى : الصبر الذى يتعلق بأفعال العباد

أفعال الإنسان لا تخرج عن كونها طاعة أو معصية باعتبار نيته ولذلك فالصبر الذى يتعلق بفعل العبد يتنوع باعتبار الفعل إلى نوعين :

أولاً : الصبر على طاعة الله :

ثانياً : الصبر على الامتناع عن المعصية

أولاً : الصبر على طاعة الله

والصبر على طاعة الله يكون بالمحافظة عليها ورعايتها وإخلاصها والمداومة عليها، قال تعالى:﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ ﴾[مريم:٦٥].

والصبر يكون على طاعة الله بعمومها من صلاة وصوم وحج وزكاة، وكل ما أمر الله به وكلما ثقلت الطاعة زاد الأجر قال عليه الصلاة والسلام:«أفضل الجهاد أن تجاهد نفسك وهواك فى ذات الله تعالى» رواه الديلمى . فكلما كانت الطاعة تحتاج إلى مجاهدة النفس والصبر كلما زاد الأجر وعظم الثواب .

ومن الصبر على طاعة الله الصبر على أداء الصلاة وإعطاء كل ركن حقه ومستحقه قال تعالى:﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا ﴾[طه:١٣٢]. فالصلاة تحتاج فى ملازمتها والمداومة عليها إلى مجاهدة النفس ، والنبى ﷺ هو أسوتنا فى ذلك ففى حديث عائشة رضى الله عنها قالت : « كان النبى ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقلت له لما تصنع هذا يارسول الله وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال : أفلا أكون عبداً شكوراً » متفق عليه.

ومن الصبر على طاعة الله بر الوالدين والإحسان وعدم التضجر والتأفف منهما طاعة لله تعالى، والصبر على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

قال تعالى:﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾[لقمان:١٧].

ومن الصبر على طاعة الله صبر المجاهد والمتعلم الصادق فى طلب العلم ورب البيت فى السعى على أولاده وأسرته ، ومن الصبر على الطاعة الإنصاف من النفس وإعطاء الحق لأهله ومواصلة السعى فيما يرضى الله وقضاء مصالح المسلمين ومراقبة الله فيما يقول، وجاء فى الحديث "حفت الجنة بالمكاره » **متفق عليه** .

فالطاعة تحتاج إلى الصبر ومجاهدة النفس وقال تعالى :

﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٦]

والصبر على طاعة الله هو عن محبته تعالى .

تقول رابعة العدوية :

تعصى الله وأنت تظهر حبه   هذا لعمرى فى القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

ثانياً : الصبر على الامتناع عن معصية الله

فطرت النفس البشرية على كثير من الغرائز والشهوات

قال تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران:١٤]

والإنسان قد يستطيع تحقيق شهواته ورغباته عن طريق معصية الله ، ومن فعل ذلك فقد خاب وخسر ، أما من منع وحبس نفسه عن المعصية فقد هدى إلى صراط مستقيم . فالصبر على البعد عن معصية الله لازم وشرط لسعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة ، فيجب على الإنسان أن يصبر على ضبط لسانه عن الكلام المحرم، فلا يغتاب ولا ينم ولا ينافق ولا يكذب ولا يساعد بقوله ظالما ، ولا يجادل بالباطل ولا يسخر من المسلمين ولا يحلف بالله إلا صادقاً ، ولايقذف مسلماً ولا يشهد زوراً ولا يؤذى أحداً ، وبذلك يتقى آفات لسانه، وعنها قال النبى ﷺ « هل يكب الناس على وجوههم فى جهنم إلا حصائد ألسنتهم » رواه الديلمى.

ومن الصبر على الامتناع عن معصية الله حفظ الفرج فلا يستعمله إلا فيما أحله الله له عملا بقوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) ﴾ [المعارج]

وبذلك ينجوا من شرور الزنا واللواط أعاذنا الله من هذه الشرور وحصن فروجنا وصرف السوء والفحشاء عنا وجعلنا من عباده المخلصين.

ومن الصبر عن المعصية ضبط النفس وعدم الغضب وكذلك من الصبر البعد عن أمراض القلوب كالحقد والغل فإذا تحقق الصبر وامتنع عن كل هذه المعاصى التى نهانا الله عنها فقد سلم من المظالم التى تتعلق بحقوق الله وحقوق عباده ونجا من النار إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

قال ابن تيمية رحمه الله كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها أكمل من صبره على إلقاء أخوته له فى الجب وبيعه وتفريقهم بينه وبين أبيه فان هذه الأمور جرت عليه بغير اختياره فلا حيلة ولا كسب له فيها. وأما صبره عن المعصية فصبر اختيار ورضى ومحاربة للنفس ولا سيما مع الأسباب التى تقوم معها دواعى الموافقة. فإنه كان شابا وداعية الشباب قوية وليس له ما يعوضه ويرد شهوته ، بالإضافة إلى ذلك فهى ذات منصب وجمال وهى الداعية له إلى نفسها والحريصة على ذلك أشد الحرص وتوعدته بالسجن إن لم يفعل ومع كل هذه الدواعى صبر اختياراً وإيثاراً لما عند الله قال تعالى:

﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾

[يوسف: ٩٠]

الفصل الثاني

ما ينافى الصبر على أقدار الله

(١) النياحة على الميت

انتهينا فيما سبق إلى وجوب الصبر على أقدار الله التي قدرها الله على عباده بمشيئته وحكمته كانت خيرا أو شرا ولكن هناك قوما لا يصبرون فيأتون بأمور قد تؤدي إلى الكفر نعوذ بالله من موجبات غضبه ومن هذه الأمور ماروى النياحة على الميت .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « اثنان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب ، والنياحة على الميت » رواه مسلم، والذي يعنينا هنا النياحة على الميت لما في هذا من السخط على قضاء الله وقدره وما في هذا الأمر من الجزع وعدم الرضا ما يتنافى مع الصبر على أقدار الله فإنهم يرفعون أصواتهم بالندب والنواح معترضين على قضاء الله.

وما روى عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ « لعن الخامشة وجهها والشاقة جيبها ، والداعية بالويل والثبور ». رواه ابن حبان. واستحقاق اللعن على هذه الأمور ما كان لولا أن هذه الأمور من الكبائر اما فيها من التسخط على أقدار الله وعدم الصبر الذي أوجبه الله علينا ولما فيها من الأضرار بالنفس والمال ، والتظلم من الله بغير وجه حق ، كما روى عن ابن مسعود مرفوعا « ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعى بدعوى الجاهلية» متفق عليه، فإن الذي قدر الله عليه مصيبة وخاصة موت عزيز لديه أمره الله بالصبر .

قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [البقرة]

وهذا هو سلوك المؤمن المهتدى كما أخبرنا القرآن الكريم والصحابة بعد وفاة النبى ﷺ كانوا يذكرون وفاته تعزية لهم فى مصابهم .

ولله در القائل [١٨٧: ٢٧]:

اصبر لكل مصيبـــة وتجلـــد   واعلم بأن المـــرء غير مخلد

فإذا ذكرت مصيبة تسلو بهـــا   فاذكر مصابـــك بالنبى محمد

وحتى تكتمل الصورة لدينا علينا أن نعلم أن ماسبق لا يدل على النهى عن البكاء أصلاً وإنما يدل على النهى عن السلوكيات التى توحى بالاعتراض على قضاء الله.

تلك السلوكيات التى تتنافى مع الصبر على أقدار الله أما البكاء على سبيل الرحمة والرقة والخشوع والتى تنزل بالقلوب فى مثل هذه المواقف فإنها مطلوبة مرجوة.

فإن النبى ﷺ لما مات ابنه إبراهيم وفاضت عينا النبى ﷺ بالدموع. فقال له عبد الرحمن بن عوف : « وأنت يا رسول الله؟ فقال : يا ابن عوف إنها رحمة ، فإن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون » رواه البخارى.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ عاد سعد بن عباده ومعه بعض أصحابه فبكى رسول الله ﷺ فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا فقال ألا تسمعون : إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا أو يرحم وأشار إلى لسانه عليه الصلاة والسلام » **متفق عليه** .

(٢) قول « لو » أو « ليت » على ما قضاه الله

هناك من أحداث التاريخ ما فيه عبرة لمن يعتبر والكيس من فقه وجه العظة فى أحداث التاريخ وعلم كيف يستنبط منها السلوك السوى ؛ ففى غزوة أحد الكثير من العظات والعبر ، ولكن الذى يعنينا هنا فى حديثنا هذا ما رواه ابن ابى حاتم عن يحيى بن عبادة عن عبد الله بن الزبير قال : لقد رأيتنى مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف أرسل الله علينا النوم فما منا رجل إلا ذقنه فى صدره ، قال: فو الله إنى لأسمع قول معتب ابن قشير ما أسمعه إلا كالحلم (لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا ها هنا) ، فأنزل الله عز وجل قوله تعالى:

﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾[آل عمران:١٥٤]

فقد رد القرآن على هذه المقولة فى دلالة قوية على أن هذا قدر مقدر من الله عز وجل وحكم حتم لازم لا محيد عنه ، فإن الموت أو القتل قد كتبه الله على عباده أينما كانوا فقول (لو) فيما قضاه الله لا يجدى إلا الحزن وعدم الرضا بقضاء الله ، وفى هذا ما يخشى منه على التوحيد لما فيه من المعاندة لأمر الله.

والواضح أن المنافقين قد استغلوا هزيمة المسلمين فى غزوة أحد وأخذوا يشنعون على النبى ﷺ وأصحابه وقالوا ‹ لو أطاعونا ما قتلوا › فرد الله عليهم بقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٨]

والقرآن هنا يدافع عن المؤمنين فلو كان القعود ينجي الناس من القتل أو الموت فينبغي إذا أنكم لا تموتون – ولكن الموت لابد آت إليكم ولكل نفس أجل وليس هناك مايرد الموت حتى ولو كنتم في بروج مشيدة، فإن كنتم صادقين في مقالتكم فادفعوا عن أنفسكم الموت بالقعود أو بما شئتم من الوسائل، ولن تستطيعوا لأن هذا من قضاء الله وقدره ، ولاينفع الحذر من القدر ؛ لأن المقدر قد وقع ولا سبيل لرده ، ولهذا نفى الله سبحانه وتعالى عن عباده المؤمنين أن يقولوا كقول الكافرين .

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[آل عمران:١٥٦].

ولمزيد من الضوء على هذا الموضوع نتعرض لحديث شريف رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ، ولاتعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » **رواه مسلم .**

ولنسلط الضوء هنا على قول النبي ﷺ « وإن أصابك شيء ...»، وهذا يدل في سياق الحديث أنه إذا غلبك الأمر وعجزت الحيلة ولم يحصل المقصود بعد الاستعانة بالله في بذل الجهد وبعد الحرص على النفع مع الأخذ بالأسباب بعد كل هذا وقع المقدور، فإن العبد هنا أمام سبيلين :

الأول : الجزع والسخط والندم والحسرة والحزن وذلك من عمل الشيطان وتراه يقول (لو أنى فعلت كذا لكان كذا وكذا) ... (ياليتنى عملت كذا لأصبح الأمر كذا وكذا) وهكذا تراه يفتح بهذا عمل الشيطان فإن نهاية هذا السبيل ماهى إلا عدم الصبر والرضا على أقدار الله.

الثانى : وهو ما أرشدنا إليه النبى ﷺ ودعانا إلى ملاحظته والتفكر فيه وهو سبيل الصبر فترى المؤمن يقول (قدر الله وما شاء فعل).

وهذا عين التسليم لله والتوكل على الله لأنه حرص على ما ينفعه واستعان بالله ولم يعجز ، ثم وقع ما شاء الله له أن يقع فهذا قدر الله وعليه الرضا به. وعليه أن يعلم أن ما اختاره الله لعبده أفضل مما يختاره العبد لنفسه وذلك لقصر علم العبد بحقائق الأمور وجواهر الأحداث ، ولو أطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع فماذا تفيد "لو" أو "ليت" إلا التأسف على ما فات والتحسر ولوم القدر وذلك ينافى الصبر والرضا والصبر واجب والإيمان بالقدر فرض ولهذا كان النهى من النبى ﷺ عن قول (لو) فيما قدر وقضى .

وحتى تكتمل لدينا الفائدة ، علينا أن نتعرض لما جوزه العلماء من قول (لو). مثل قول أبى بكر الصديق رضي الله عنه وهو فى الغار: لو أن أحدهم رفع رأسه لرآنا: وقول النبى ﷺ « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» رواه مسلم. ومثل هذا كثير ورد على لسان النبى ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم ، وليس فيه شىء من اعتراض على قدر قضاه الله وما دام كذلك فلا كراهية فيه ولا خلاف فى جوازه.

(٣) سب الدهر وذمـــــه

وهذا أيضاً من الأمور التى تتنافى مع الصبر على أقدار الله.

ولفظ "الدهر" أو "الليل والنهار" أو "الأيام" وغيرها ماهى إلا مسميات للزمن أو الوقت ولا يخفى علينا ما يمثله الزمن من دور فى حياتنا مما يدفع البعض منا إلى أن ينسبوا إليه أفعال وإنما الزمن جعل ظرفاً لمواقع الأمور وليس بفاعل وماهو إلا خلق من مخلوقات الله.

وفى الحديث القدسى الذى يرويه لنا الصحابى الجليل أبو هريرةﷺ عن النبى ﷺ فيما يرويه عن رب العزة قال : قال الله تعالى {يؤذينى ابن أدم يسب الدهر وأنا الدهر. بيدى الأمر أقلب الليل والنهار}.. وفى رواية { لايقل ابن أدم : ياخيبة الدهر ، فإنى أنا الدهر ، أرسل الليل والنهار فإذا شئت قبضتهما} **رواه البخارى.**

ويكفينا فى هذا المقال تأويل الإمام الشافعى رحمه الله :

« إن العرب كان من شأنها أن تذم الدهر وتسبه عند المصائب التى تنزل بهم ، من موت أو هرم أو تلف أو غير ذلك فيقولون : إنما يهلكنا الدهر وهو الليل والنهار ويقولون : أصابتهم قوارع الدهر ، وأبادهم الدهر فيجعلون الليل والنهار يفعلان الأشياء فيلعنون الدهر بأنه الذى يفنيهم ويفعل بهم ، وفى حقيقة الأمر ، أن رب الدهر هو الفاعل والدهر ليس له من الأمر شىء فمسبتهم الدهر مسبة لله عز وجل ، ولهذا كانت مؤذية لله عز وجل .

وقوله « أنا الدهر » معناه أنا صاحب الدهر ، ومدبر الأمور التي ينسبونها للدهر والدهر خلق مسخر من خلق الله منقاد لأمره متذلل لتسخيره لا أكثر.

والذى لا ريب فيه أنه من يسب الدهر على نوعين :

الأول : أن يعتقد أن الدهر هو الفاعل وهو لذلك يسبه فهو من الدهرية الكفرة.

وفى هذا ورد قول الله تعالى :

﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية:٢٤].

الثانى : أن يعتقد أن الله هو الفاعل وحده لاشريك له وإنما يسب الدهر لما يجرى عليه فيه من المصائب والنوازل لا لأنه الفاعل والنهى صريح فى الحالتين سواء أعتقد أن الدهر هو الفاعل أو لم يعتقد وإن اشتد العقاب فى الأولى عنه فى الثانية. ولا يخفى علينا ما فى سب الدهر من الاعتراض على قضاء الله وقدره وعدم الرضا وانتفاء الصبر.

(٤) سب الريح

وشأن الريح فى هذا المقام كشأن الدهر فـان الريـح إن أتـت علـى الناس بتلف فى الأموال والأنفس والثمرات وأصابت الخلق بمـا يكرهـون وجدت الكثير من أهل الجهل يسبون الريح ويلعنوهـا وهـم بذلـك ينسبون ماحدث لهم إليها وليس الأمر كذلك ، لأن الريح إنما هى مسيرة بأمر الله وفى سبها اعتراض على أمر الله فالريح لا تملك من أمرها شيئا .

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[فصلت:١٦].

ولقد نهانا النبى ﷺ عن سب الريح فعن أبـىّ بـن كعـب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال « لاتسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهـوا فقولـوا ، اللهـم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير مافيها ، وخير ما أمرت بـه ، ونعـوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيهـا وشـر مـا أمرت بـه » رواه الترمذى، وهنا يدلنا النبى ﷺ إلى الطريق الصحيح وهو اللجوء إلى الله والتعوذ بـه والاستكانة إليه والدعاء إلى الله فما استجلبت نعمة بمثل طاعته وشكره ولا استدفعت نقمة بمثل التوكل عليه ، لأن اللـه هـو الخـالق للريح وهـو الذى أمرها وأرسلها .

قال تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[الروم:٤٨].

وينهى النبى ﷺ عن سب الريح لأنها مأمورة مقهورة والضرر بها بلاء من الله تعالى يجب عنده الصبر على أقدار الله وهو تأديب لعباده وتأديبه رحمة للعباد ومن ذلك ما رواه أبوهريرة مرفوعا : « الريح من روح الله تأتى بالرحمة والعذاب فلا تسبوها ولكن سلوا الله من خيرها وتعوذوا بالله من شرها» رواه أبو داود.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رجلا لعن الريح عند النبى ﷺ فقال : « لا تلعنوا الريح فإنها مأمورة ، وإنه من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت اللعنة إليه » رواه الترمذى.

وقال الشافعى : « لاينبغى شتم الريح فإنها خلق مطيع لله ، وجند من جنوده يجعلها الله رحمة إذا شاء ، ونقمة إذا شاء ».

ولا جرم أن سب الريح ولعنها يتنافى مع الصبر على أقدار الله التى أمرنا الله عندها بالرضا والرجوع إليه عز وجل.

(٥) تمنى الموت عند المصيبة

أمرنا الله عند البلاء بالصبر قال النبى ﷺ :« إن عظم الجزاء مع عظم البلاء إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى له الرضى ومن سخط فله السخط » رواه الترمذى. ولكن قوما لا يكتفون بالسخط عندما يصيبهم ما يكرهوا بل يشتد بهم السخط إلى تمنى الموت جزعاً وحزناً على قدر الله وكأنه بلسان الحال يقول لخالقه : أنا لا أقبل حياة ابتليتنى فيها ، نعوذ بالله من هذا المسلك الخطير.

ولهذا يرشدنا النبى إلى الصواب فيما روى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ:«لايتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لابد متمنياً ، فليقل: اللهم أحينى ما كانت الحياة خيراً لى وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى » **متفق عليه.**

والنبى ﷺ كعادته ينهى عن تمنى الموت من أجل مصيبة نزلت بالعبد لما فى هذا من عدم الرضا على أقدار الله. فعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «لا يتمنين أحدكم الموت إما محسناً فلعله أن يزداد إحساناً وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب » رواه البخارى .

وفى صحيح مسلم قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدعو به من قبل أن يأتيه ، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً » . ولأحمد والحاكم عن جابر : قال رسول الله ﷺ « لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد وإن من السعادة أن يطول عمر العبد حتى يرزقه الله الإنابة » .

الفصل الثالث

الانعكاس التربوى لقيمة الصبر

الانعكاس التربوى لقيمة الصبر

الإيمان بالقضاء والقدر يقتضى أن يكون الفرد صابراً محتسباً راضيا بما قدر الله له . والإنسان الصابر لا يجزع ولا يتزمر ولا يسخط على الأقدار؛ لأنه يعلم أن الجزع لا يرد مفقوداً ، ولا يمنع مقدوراً، فلا نتيجة له إلا سخط الرب ، ولهذا فالصبر يقى الفرد من أمراض القلوب كالغيظ والانتقام والحقد وعدم الرضا التى تعد من مسببات الأمراض النفسية .

فالصبر مبعث الاطمئنان النفسى الذى يعين على الشدائد فى الحياة الدنيا، فضلاً عن حسن الثواب فى الآخرة .

قال تعالى:﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[الزمر: ١٠]

ليس هذا فحسب ، بل الصبر يلازمه نهج السلوك المستقيم الذى يعود بالخير على الفرد والمجتمع، ومن مظاهر هذا السلوك طاعة الله والابتعاد عن معصيته ، والعفو عن من قصر فى الحقوق الشخصية، والسعى لطلب العلم والرزق ، وتحمل جار السوء ، والاتصاف بسلوكيات المؤمن فى التعامل مع أفراد مجتمعه من كلمة طيبة ونظرة باسمة ولقاء باش ، والأمر بالخير والمشاركات الوجدانية فى الأفراح والأتراح . كل هذه بدائل حية يوجدها الصبر إذا بذلها الإنسان أسهم إسهاماً ظاهراً مفيداً فى بناء مجتمع الإخاء والصفاء والتعاون والوئام .

فالصبر فيه كل خير وليس أدل على ذلك من انه اسم اتصف به المولى عز وجل ، فمن أسمائه الصبور ، أى لا يعاجل من عصاه

بالعقوبة فتلك السمة دعامة أساسية من دعائم المجتمع المتكامل المتسـامح الذى ينشد السعادة والرفاهية.

الباب السادس

أقدار أخبر بها النبى ﷺ

القدر والغيب

القدر إما أنه وقع وقضى ، وإما أنه لم يقض بعد . أى لم يأت أجله فيسمى غيبا ، وبذلك تتضح العلاقة بين الغيب والقدر، فليس هناك أدل على القدر من الغيب . والغيب هو ما خفى عن مدركات الإنسان ، فالذى تراه ليس غيبا، والذى نسمعه ليس غيبا ، والذى نشمه ليس غيبا . وهكذا فى مدركات الإنسان الحسية ما خفى وغاب عن دائرتها فهو غيب.

وفى الحقيقة أن ما غاب علمه عن الإنسان أكبر بكثير مما أدركه بنو البشر .

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الإسراء:٨٥].

ولما كان الله هو الخالق، وحده سبحانه وتعالى فإنه لا يغيب عنه شيء، فعلمه أزلى كما أخبر عن نفسه فقال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾[هود:١٢٣] .

والعلم يختلف عن التنبأ أو تغليب الظن لأن العلم لا يتطرق إليه الشك بحال من الأحوال ، ولذلك فلا أحد يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى ، والآيات فى أمر الغيب وأن الغيب لله وحده كثيرة فى القرآن الكريم .

ويكفى هذا التأكيد والقطع فى قوله تعالى:

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[النمل:٦٥] .

وأخبر الله تعالى عن الجن فى قصة سليمان ، وأنهم لا يعلمون الغيب بدليل جهلهم بموت سليمان .

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾[سبأ: ١٤]

فلا أحد فى هذا الوجود يعلم الغيب بذاته سوى الله تعالى حتى رسوله ﷺ لا يعلم الغيب بذاته ، وما أخبر به النبى ﷺ من الأقدار إنما هو إخبار من الله على لسان رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف:١٨٨].

وهذه الأقدار التى أخبر بها النبى ﷺ سواء جاء أجلها وقضيت أو لم يأت بعد فهى لابد أن تقضى فى أجلها الذى أجل لها ، وهى دليل على علم الله الأزلى بكل ما هو كائن إلى يوم القيامة.

ومن الأحاديث التى توضح ما أخبر به النبى ﷺ من أحداث ما رواه مسلم عن حذيفة قال : « قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابى هؤلاء وإنه ليكون منه الشىء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه ».

وأيضا لمسلم عن أبى زيد (عمرو بن أخطب) قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا » .. فالأمور الغيبية التى أخبر بها النبى ﷺ كثيرة وكلها من عند الله . قال تعالى :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾[النجم ٤:٣] .

وهى دليل على صدق النبى ﷺ . فعن أبى هريرة ﷺ قال : « لما فتحت خيبر أهديت للنبى ﷺ شاة فيها سم فقال : اجمعوا لى من كان هنا من اليهود. فجُمعوا، فقال لهم: إنى سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقى عنه؟ قالوا نعم يا أبا القاسم . فقال لهم : من أبيكم؟ قالوا : فلان . فقال عليه الصلاة والسلام كذبتم ، أبوكم فلان وذكره . قالوا : صدقت وبررت . قال عليه الصلاة والسلام : فهل أنتم صادقى عن شيء إن سألتكم عنه ؟ قالوا : نعم . وإن كذبنا عرفت كما عرفت من أبينا . فقال لهم : من أهل النار؟ قالوا : نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها . فقال عليه الصلاة والسلام : اخسئوا فيها والله لا نخلفكم فيها أبداً . قال هل أنتم صادقى عن شيء إن سألتكم عنه ؟ قالوا : نعم . قال : هل جعلتم فى هذه الشاة سماً؟ قالوا نعم . قال : فما حملكم على ذلك؟ قالوا : أردنا إن كنت كاذباً نستريح منك وإن كنت صادقاً لم يضرك » رواه البخارى .

وحينما ضلت ناقة رسول الله ﷺ ببعض الطريق فخرج أصحابه فى طلبها وكان فى مجلس النبى ﷺ رجلاً من المنافقين يقال له زيد بن لصيت ، قال لعمارة : أليس يزعم محمد أن يخبركم من خبر السماء وهو

لا يدرى أيـن ناقتـه؟ فقـال رسـول اللـه ﷺ : « إن رجـلاً قـال إن محمـداً يخبركم أنه نبى وهو يزعم أن يخبركم بخـبر السـماء وهـو لا يُـدرى أيـن ناقته وإنى والله ما أعلم إلا ما أعلمنى الله وقد دلنى الله عليها وهـى فـى الوادى فى شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتـى تـأتوا بها فذهبوا فجاءوا بها كما قال رسول اللـه ﷺ . فقـال (زيـد) : لكـأنى لـم أسلم إلا اليوم ، فقد كنت شـاكاً فـى محمـد وقـد أصبحـت وأنـا فيـه ذو بصيرة. أشهد أنه رسول الله ﷺ .

ويكفى أن نتأمل قـول النبـى ﷺ : « وإنـى واللـه مـا أعلـم إلا مـا أعلمنـى اللـه » فإنهـا نـبراس علـى الطريـق لمـن شـاء اللـه لـه الهدايـة . فالرسول ﷺ أخبر بأقدار كثيرة قبل وقوعها نورد منها النذر اليسير .

انتصار الروم على الفرس

عندما انتصر الفرس على الروم فى بداية عهد الإسلام فرح المشركون بذلك لأن الفرس مثلهم ليسوا أهل كتاب ولا إيمان ، وقالوا سوف ننتصر على محمد كما انتصر الفرس على الروم ، فساء ذلك المسلمين ، فأنزل الله تعالى يبشرهم بالخير والنصر فى قوله تعالى :

﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم] .

فلما نزلت هذه الآيات خرج أبو بكر بها إلى المشركين فقال : أسركم أن غُلبت الروم فإن نبينا أخبرنا عن الله أنهم سيغلبون فى بضع سنين . فقال له أبى بن خلف وأبو سفيان : نتراهن فى ذلك . قال أبو قتادة وذلك قبل تحريم الرهن ، وجعلوا الرهان خمس من الإبل والأجل ثلاث سنين ، ثم أتى إلى النبى ﷺ فأخبره فقال : فهلا احتطت فإن البضع ما بين الثلاث والعشر ولكن ارجع فزدهم فى الرهان واستزدهم فى الأجل . ففعل أبو بكر فجعلوا الإبل مائة والأجل تسعة أعوام . فغلبت الروم فى أثناء الأجل » رواه القشيرى وابن عطية.

والمشهور أن الروم انتصرت على الفرس فى السنة السابعة من غلبة فارس لها. فالله ﷻ أخبر فى كتابه أن الروم سوف تنتصر على الفرس فى بضع سنين وأن الأمر كله بيد الله وأن المؤمنين سوف يفرحون بتحقق وعد الله وقد وقع ما وعد الله به ، فهذه معجزة للقرآن بإخباره بأقدار غيبية ودليل على صدق النبى ﷺ .

آجال أخبر بها النبى ﷺ

لقد نفى المولى عز وجل عن النفس البشرية أن تدرك وتعلم ماذا يحدث لها فى المستقبل فقال تعالى : ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤].

ومن هنا تأتى أهمية الآجال التى أخبرنا بها النبى ﷺ فهى غيبيات لا يعلمها إلا الله عز وجل وما كان لرسول الله ﷺ أن يخاطر بشأن رسالة التوحيد ، فيحدث الناس بما يكذب به بعد موته ﷺ . وهذه الآجال ما هى إلا دلائل النبوة ، فمرجعها إلى الوحى ، والتى جعلها الله نبراساً لمن كان ذا بصيرة راشدة .

ولقد تعددت الأخبار التى وردت عن النبى ﷺ فى الآجال ، فمنها ما جاء ليبين أن إناساً سيموتون على الكفر كأبى لهب وزوجته أم جميل وأبى جهل. ومنها ما جاء ليبين ميقات الوفاة كابنته فاطمة رضى الله عنها وكذلك كسرى . ومنها ما جاء ليبين أن إناساً سيموتون شهداء كعمر بن الخطاب وعثمان وعمار بن ياسر والحسين بن على .

أولاً : إخباره ﷺ عن أناس سيموتون على الكفر :

إن النبى ﷺ قد أخبر أن عمه أبا لهب سيدخل النار هو وامرأته أم جميل ، وأنهما سيموتان على الكفر كما قدر الله عز وجل .

قال تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥ ﴾ [المسد]

وقد أخبر النبى ﷺ بذلك . وقد عاشا مدة ولم يسلما حتى ولو لتكذيب النبى ﷺ وهذا من معجزات النبوة الساطعة [٦٧: ٢٦].

ولم يكن الأمر قاصراً على أبى لهب وأم جميل ، فقد نزل أيضا فى أبى جهل قوله تعالى : ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴾ [القيامة]

فقال أبو جهل : أتتوعدنى يا محمد، والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا شيئا ، وإنى لأعز من مشى بين جبليها. فلما كان يوم بدر صرعه الله شر مصرع وقتله أسوأ قتلة .

ومن ذلك ما رواه البخارى عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: انطلق سعد بن معاذ معتمراً. قال: فنزل على أمية بن خلف، فقال أمية لسعد: انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت، فبينما سعد يطوف إذا أبو جهل فقال: من هذا الذى يطوف بالكعبة؟ فقال سعد: أنا سعد . فقال أبو جهل : تطوف بالكعبة آمناً وقد آويتم محمداً وأصحابه. فقال : نعم ، فتلاحيا ـ أى ارتفعت أصواتهما ـ فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك، وجعل يمسكه فغضب سعد فقال لأمية: دعنا عنك، فإنى سمعت محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلك قال إياى ؟ قال: نعم. قال: والله ما يكذب محمد إذا حدث فرجع إلى امرأته فقال : أما تعلمين ما قالى لى أخى اليثربى ؟ قالت : وما قال؟ قال : أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلى. قالت : فوالله ما يكذب محمد . قال : فلما خرجوا – أى المشركون – إلى بدر قالت له امرأته : أما ذكرت ما قاله لك أخوك اليثربى ؟ قال : فأراد ألا يخرج . فقال له أبو جهل : إنك من أشراف الوادى فسر يوما أو يومين ، فسار معهم فقتله الله».

ثانياً :إخباره بميقات الوفاة

وفاة فاطمة رضى الله عنها : فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال أن ابنته فاطمة رضى الله عنها هى أول أهل بيته موتاً بعده ، وقد كان ما أخبر به النبى ﷺ فإنها قد توفيت بعده [٢٠ : ٢٦].

ولم يكن الموت من نصيب أحد من آل بيته ﷺ قبل ابنته فاطمة رضى الله عنها كما أخبر عليه الصلاة والسلام.

وفاة كسرى : وذلك أن كسرى كتب إلى عامله على اليمن (باذان) أنه بلغه أن رجلاً من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبى فسر إليه فاستتبه فإن تاب وإلا فابعث إلى برأسه ، فبعث (بازان) بكتاب كسرى إلى رسول الله ﷺ فكتب إليه رسول الله : « إن الله قد وعدنى أن يقتل كسرى فى يوم كذا وسمى اليوم والشهر عليه الصلاة والسلام فلما أتى (بازان) كتاب رسول الله ﷺ توقف لينظر . قال : إن كان نبياً فسيكون ما قال . فقتل كسرى فى اليوم الذى أخبر به النبى ﷺ وقتل على يد ابنه (شيرويه)، فلما بلغ ذلك (بازان) بعث بإسلامه وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله ﷺ فقالت الرسل من الفرس : إلى من نحن يا رسول الله . قال : أنتم منا وإلينا أهل البيت .

ثالثاً : أناس يموتون على الشهادة

فعن أبى هريرة « أن رسول الله ﷺ كان على حراء ، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فتحركت الصخرة . فقال رسول الله ﷺ: اهدأ فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد » رواه مسلم . وفى رواية عنه : « أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء فتحرك ،

فقال رسول الله ﷺ : اسكن حراء ، فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد» رواه مسلم. وقد كان ما أخبر به النبى ﷺ فما على حراء إلا نبى وهو رسول الله ، وصديق وهو أبو بكر الصديق ، وشهيد وهذا ما كان من آجال من كانوا رضى الله عنهم أجمعين. فعمر بن الخطاب قتل شهيداً وهو يوم الناس فى صلاة الصبح بالمسجد ، وقتله أبو لؤلؤة المجوسى ، وكان من آخر ما قال ﷺ : «وكان أمر الله قدراً مقدوراً». ومعلوم ما حدث من أمر الفتنة فى عهد عثمان ﷺ وكيف قتل شهيداً فى بيته وكذلك باقى الصحابة الذين ذكروا فإنهم جميعاً قتلوا على النحو المعروف فى الفتن أو الغزوات .

استشهاد على بن أبى طالب ﷺ

فعن عثمان بن صهيب عن أبيه قال: قال على: قال لى رسول الله ﷺ: « من أشقى الأولين . قلت : لا علم لى يا رسول الله .

قال : الذى يضربك على هذه - وأشار إلى يافوخه بيده - فيخضب هذه من هذه - يعنى لحيته من دم رأسه - قال : فكان يقول : وددت أنه قد انبعث أشقاكم » رواه ابن عساكر .

وقد حدث ما أخبر به النبى ﷺ من قدر لعلى بن أبى طالب وهو خارج لصلاة الفجر ، فضربه ابن ملجم بالسيف على رأسه فسال الدم على لحيته ﷺ كما أخبر رسولنا الكريم .

استشهاد الحسين بن على بالعراق

فقد روى عنه ﷺ من أن ابن ابنته فاطمة الحسين بن على سيقتل بالعراق فكان الأمر كما أخبر ﷺ [٣٩ : ٢٦].

الفتنة التى تلم بالأمة الإسلامية بعد مقتل عثمان ﷺ

إن الله سبحانه وتعالى قد أخبر النبى ﷺ بأمر الفتنة التى سوف تلم بأمته من بعد مقتل عثمان بن عفان ﷺ ، وما سوف يكون من أمر معاوية ، ويظهر ذلك بوضوح فى بعض تلميحات النبى ﷺ مثل قوله لنسائه : « ليت شعرى ، أيتكن صاحبة الجمل المدبب تخرج فينبحها كلاب الحواب يقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير ثم تنجو بعدما كادت » رواه الحاكم.

والكلام يقصد به النبى ﷺ إحدى نسائه وهو يعلم أنها سوف تخرج فى الفتنة وتنبحها الكلاب عند ماء الحواب ويقتل الناس عن يمينها ويسارها وهى صاحبة الجمل المدبب ، وقد كان ما أخبر به الصادق ﷺ فى معركة الجمل، لما خرجت السيدة عائشة رضى الله عنها وبلغت مياه عامر ليلاً نبحت الكلاب. قالت أى ماء هذا قالوا ماء الحواب . قالت: ما ظننتنى إلا أنى راجعة . قال بعض من كان معها . بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله عز وجل ذات بينهم. قالت: إن رسول الله ﷺ قال لها ذات يوم : « كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحواب ».

ومنها إخباره ﷺ « بأن عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية وهو يدعوهم إلى الجنة وهم يدعونه إلى النار » رواه البخارى .

وحقاً قتله أصحاب معاوية بن أبى سفيان فى معركة صفين . وعمار بن ياسر فى معسكر على بن أبى طالب ولم يكن أمام معاوية إلا أن أمر أصحابه بأن يشيعوا أن أصحاب على هم الذين قتلوه .

ومنها ما أخبر به النبي ﷺ من أمر الحسن بن علي بن أبي طالب حفيد النبي ﷺ من أن الله سوف يصلح به بين فئتين عظيمتين ، وقد كان ما أخبر به النبي ﷺ ، وتم الصلح بين الحسن بن علي ومعاوية بن أبي سفيان وتنازل عن الخلافة له . فعن أبي بكرة ﷺ : « أخرج النبي صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم ذات يوم الحسن فصعد به على المنبر فقال : « ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين » **رواه البخاري .**

انهيار الأمة الإسلامية

قال النبى ﷺ : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى» رواه الحاكم، فالأمة الإسلامية تستمد قوتها من المنهج الإلهى المتمثل فى الكتاب والسنة متى تركت ذلك فلن تهتدى إذن أبداً . فعن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربى قال : يا محمد إنى إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من أقطارها . أو قال : من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبى بعضهم بعضاً» رواه مسلم.

فهذا الحديث يوضح أن انهيار الأمة الإسلامية لن يكون إلا من داخلها ، أما عن أعدائها من الخارج فلن يتمكنوا من إهلاكها أبداً ، نعم الله قضى وقضاء الله لايرد .

وأحسنت صفية بنت عبد المطلب فى رثائها للنبى ﷺ :

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا	وكنت بنا براً ولم تك جافيا
وكنت رحيماً هادياً ومعلماً	لبيك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرى ما أبكى النبى لفقده	ولكن لما أخشى من الهرج آتيا

وعن أبى موسى ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ:« إن بين يدى الساعة لهرجا . قال : قلت يا رسول الله ما الهرج؟ قال: « القتل » . فقال بعض المسلمين يا رسول الله إنا نقتل الآن فى العام الواحد من المشركين كذا وكذا. فقال رسول الله ﷺ: « ليس بقتل المشركين ولكن يقتل بعضكم بعضا حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه وذا قرابته . فقال بعض القوم: يا رسول الله ومعنا عقولنا ذلك اليوم ؟ فقال رسول الله ﷺ: لتنزع عقول أكثر ذلك الزمان ويخلف هباء من الناس لا عقول لهم » رواه أحمد فى مسنده.

وعندما تتفرق الأمة الإسلامية وتتقاتل كما أخبر النبى ﷺ هذا يكون مدعاة إلى أن تتكالب عليها الأمم الأخرى ، فعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ « يوشك أن تداعى الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها . قال : قلنا يا رسول الله : أمن قلة بنا يومئذ ؟ قال أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة فى قلوب عدوكم ويجعل فى قلوبكم الوهن . قال قلنا: وما الوهن ؟ قال : حب الحياة وكراهية الموت » رواه أحمد فى مسنده. نعم وان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم نعم ويثبت الله الذين أمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا ويضل الله الظالمين فإذا تركنا ديننا واتبعنا أهوائنا فلا نصر لنا ولاعزة لنا . قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون:٨].

ولله در القائل [٦٧١ : ٦/ج٣]:

عودوا إلى القرآن عودة باحث	ترك الهوى والعقل حر مطلق
فهو الدواء لكل أدواء الورى	وهو الطبيب لكل سقم صدقوا

فـانغرب لمـا سـار سـار بنـوره وعلا وقَبل الغَرب سـار المشـرق

يا قـوم أحمد مجدكـم قـرآنـكـم فهو الكتـاب العالمى الأصــدق

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى . فقلت يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[الصف:٩] .. أن ذلك تماماً . قال : « إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحاً طيبة فتوفى كل من فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فيبقى من لا خيرة فيه فيرجعون إلى دين آبائهم » **رواه مسلم.**

انهيار البشرية على أرض الفرات

نعم لقد أشار النبى ﷺ إلى أرض المشرق ، أرض الفرات ، فقال من ها هنا الفتنة ، وليست فتنة ككل الفتن ، بل فتنة من نوع خاص ، ستكون السبب فى انهيار البشرية . فعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم لعلى أكون أنا الذى أنجو » رواه مسلم .

والأحاديث فى هذا الموضوع كثيرة وصحيحة منها عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً » رواه البخارى ومسلم.
وأيضاً عن عبد الله بن نوفل قال : كنت واقفاً مع أُبى بن كعب فقال لا يزال الناس مختلفة أعناقهم فى طلب الدنيا . قلت أجل قال إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب فإذا سمع به الناس ساروا إليه فيقول من عنده لئن تركنا الناس يأخذون منه ليذهبن به كله قال فيقتتلون عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون» رواه مسلم .

نعم ، فإن التنافس فى طلب الدنيا وجمع المال هو سر فسادها وسبب كل دمار فى هذه الدنيا ، وهذه الحرب التى ستكون السبب فى انهيار البشرية سوف تؤدى إلى كثرة النساء كما أخبر النبى ﷺ وكثرة القتل .

فعن أبى موسى ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ثم لا يجد أحدا يأخذها منه ، ويرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء » رواه البخارى.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ « لا تقوم الساعة حتى يكثر المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه لا أرب لى فيه » رواه البخارى ومسلم.

هدم الكعبة

الكعبة حتما ستنهار على يد رجل أسود من الحبشة . هكذا أخبرنا النبي ﷺ . فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : كأني به أسود أفحج يقلعها حجرا حجرا » رواه البخاري .

ومن هذه الأحاديث التي وردت في تخريب الكعبة ما رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ « يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة » ولكن هدم الكعبة لن يكون إلا إذا نقضت عرى الإسلام وقبض الله عباده المؤمنين .

عن أبي إمامه الباهلي ﷺ عن رسول الله ﷺ : « لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما نفضت عروة تشبث الناس بالتي تليها وأولهن نقضا الحكم واخرهن الصلاة ، فإذا نفضت عروة الصلاة من الأرض وقبض الله عباده المؤمنين قدر الله هدم الكعبة

قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩]

فيشاء الله أن يهدمها هذا الرجل الأسود الذى أخبر عنه النبي ﷺ ، ومثال ذلك عندما أنزل الله قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ ﴾[المائدة:٣] .

بكى سيدنا أبو بكر لأنه فهم أنه ما دام الرسول قد أدى دوره الذى خلقه الله له وبلغ رسالته التى أمره الله بها فأجله قد قرب لأن انتقاله إلى الدار الآخرة أفضل من وجوده فى هذه الدنيا .

فك رموز كل شيء

سبحانه وتعالى قادر على كل شيء فلقد أيد الله سبحانه وتعالى نبيه بالمعجزات الدالة على صدق رسالته منها ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : « عدا الذئب على شاة فطلبه الراعي فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذَنَبه قال ألا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله إليّ . فقال الراعي : يا عجبي ذئب مقع على ذَنَبه يكلمني كلام الإنس ! فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق . قال أبو سعيد : فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزاواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره . فأمر رسول الله ﷺ فنودي الصلاة جامعة ، ثم خرج فقال للراعي : أخبرهم . فأخبرهم ، فقال رسول الله ﷺ صدق ، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ويكلم الرجل عذبة صوته ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده » .

وإن كان هذا حدث على سبيل المعجزة في عهد النبي ﷺ فهو يخبرنا عليه الصلاة والسلام أن الإنسان سوف يتمكن من فك رموز كل شيء حتى لغة الحيوان . سوف يكلم الحيوان ، والحيوان يكلمه حتى الجماد .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول يا عبد الله : هذا يهودي ورائي فاقتله » . رواه البخاري ومسلم .

الباب السابع

متعلقات القضاء والقدر

الفصل الأول

الجدال فى القدر

الجدال هو أن تتناقش مع غيرك فى شدة وعنف حتى تغضبه وينتهى الموقف بالخصومة ، وهو مكروه فى مسائل الدين والقضاء والقدر مسألة ليست بالهينة فهى تتعلق بالعقيدة ولا يجوز الجدال فيها. أما مذاكرة العلم فيها فهو أمر مستحب مأجور فاعله، جاء فى مسند الإمام أحمد قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون فى القدر فكأنما يفقأ فى وجهه حب الرمان من الغضب فقال : ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض ؟ بهذا هلك من كان قبلكم . فرسول الله ﷺ غضب من الجدال بين الصحابة رضى الله عنهم فى القدر لأنهم بدلاً من أن يرجعوا إلى الرسول ﷺ كما أمرهم الله تعالى:

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩].

أخذوا يجادلون فى شدة وعنف والجدال أبدا ما كان ليوصل إلى حقيقة أو علم ، لأن الذى سيغلب على الجدل تعصب كل فريق لرأيه فى مقابل الفريق الآخر، وسوف يرفض أن يذعن للحق فى إطار التحدى بين الفريقين.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع فى شيء من الدين فغضب غضبا شديداً لم يغضب مثله ثم انتهرنا فقال : يا أمة محمد لا تهيجوا أنفسكم ثم قال : « أبهذا أمرتكم

أوليس عن هذا نهيتكم إنما هلك من كان قبلكم بهذا . ثم قال : ذروا المراء لقلة خيره فإن المراء لا تؤمن فتنته ذروا المراء فإن المراء يورث الشك ويحبط العمل ذروا المراء فإن المؤمن لا يمارى ذروا المراء فإن الممارى لا أشفع له يوم القيامة » رواه الديلمى .

ومع أن النبى ﷺ حذر ونهى عن الجدال فى مسائل الدين وخاصة القدر إلا أنه عليه الصلاة والسلام دعا إلى الرد ومجاهدة الفهم الخاطئ فى القدر فقد روى جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال « يكون فى آخر الزمان قوم يعملون المعاصى ثم يقولون : الله قدرها علينا الراد عليهم يومئذ كالشاهر سيفه فى سبيل الله » رواه ابن عساكر .

فيجب على العلماء توضيح ما التبس على الناس فى مسائل الدين والرد على الأفكار المتطرفة والتمسك بالكتاب والسنة والسير على نهج السلف الصالح الذين دافعوا عن العقيدة الصحيحة واضعين نصب أعينهم التوجيه القرآنى لمسيرة الدعوة .

قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل: ١٢٥]

الفصل الثاني

الهداية والإضلال

الهداية والإضلال

لقد سبق لنا معرفة الركن الرابع من القضاء والقدر ومفاده أن الله سبحانه وتعالى ماكان ليعجزه من شيء فى الأرض ولا فى السماء فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لاراد لقضائه ولا معقب لحكمه سبحانه وتعالى وهو أحكم الحاكمين.

والله تعالى قادر على أن يهدى من يشاء وقادر على أن يضل من يشاء. قال تعالى:﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[الأنعام:١٢٥] .

وعن عمرو بن العاص ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله ﷺ « اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك » لأحمد فى مسنده .

والسؤال الذى ينهض بنفسه الآن : من الذين يشاء الله هدايتهم ويهديهم ومن الذين يشاء الله ضلالتهم ويضلهم ؟

والإجابة عن هذا التساؤل نجدها واضحة فى كتاب الله عز وجل قال تعالى:﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾[طه:١٢٣] فمن سار على منهج الله واتبع سنة رسوله لايضل ولا يشقى لا فى الدنيا ولا فى

الآخرة ، قال عليه الصلاة والسلام : «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى» رواه الحاكم، ولذلك عندما أقسم إبليس لربه أنه سيغوى بنى أدم قال لأغوينهم أجمعين ، ثم استثنى فقال : إلا عبادك منهم المخلصين . فمن التجأ إلى الله وسار على منهجه ، أعانه ووفقه وحصنه من الشيطان وهداه إلى صراطه المستقيم . قال تعالى:

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾[إبراهيم:٢٧] .

ومما سبق يتضح أنه من آثر الهداية ورغب فيها وطلبها وعمل بأسبابها تحققت له ووجد من الله تعالى العون على تحصيلها وتحقيقها وهذا رحمة من الله تعالى بعباده .

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ . [التوبة: ١١٥]

قال القرطبى معناها أى ماكان الله ليوقع الضلالة فى قلوب الذين اهتدوا حتى يبين لهم ما يتقون فلا يتقوه فعند ذلك يستحقون الإضلال وفى هذا أدل دليل على أن المعاصى إذا ارتكبت وانتهك حجابها كانت سببا فى الضلالة والردى وسلما إلى ترك الرشاد والهدى فالله تعالى لايضل أحدا ما دام هو فى طاعته بل يزيده هداية .

قال تعالى :﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾[محمد:١٧].

وقال تعالى﴿ وَالَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ . [العنكبوت: ٦٩]

والإيمان نعمة من الله ورزق لايحرم الإنسان منه إلا إذا غير نيته أو أدخل فيها ما يفسد عليه عمله من الرياء وعدم الإخلاص .

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[الأنفال:٥٣] .

ومتى ابتعد الإنسان عن طريق الله فلا طريق إلا طريق الشيطان والشيطان لا غاية له إلا أن يضل الإنسان .

قال تعالى: ﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[النساء:٦٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾[الزخرف]

فمن ترك سبيل الله وابتعد عن منهجه تمكن الشيطان منه ومن إضلاله .

قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾[الأعراف:١٧٥] .

فمن آثر الضلالة ورغب فيها وطلبها وعمل بأسبابها تحققت له ولم يجد من الله تعالى صارفا عنها وهذا هو عدل الله تعالى فى عباده وحسن تدبيره .

فمن أراد أن لا يكون للشيطان عليه سبيل فليبتعد عن طريق المعاصى والآثام. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ﴾[آل عمران: ١٥٥]

[آل عمران:١٥٥]

فالمعصية هى فرصة الشيطان وهى الطريق الموصل إلى الضلالة قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]

وجاء فى الحديث الذى رواه البخارى قول النبى ﷺ « لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » . فالإيمان ينزع من العبد عند ارتكابه الجريمة ثم يعود إليه بعد ذلك وقد لا يعود فيجب على الإنسان أن لا يتهاون بالمعصية حتى ولو كانت من الصغائر.

فعن عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه » رواه أحمد. وعن ابن عباس رضي الله عنه أن قال : « يا صاحب الذنب لا تأمن فتنة الذنب وسوء عاقبته» رواه ابن عساكر. فارتكاب المعاصى والتمادى فيها هو سبيل الكفر.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الروم: ١٠] .

فعلى الإنسان أن يوجه نفسه إلى طريق الصلاح والتقى ، ولا يتركها لما تهوى ، ويبتعد عن كل طريق يؤدى للضلال، فالله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان ومنحه القدرة على التمييز بين الحق والضلال ، وأرسل له رسله ليرشده إلى طريق الهدى ، فإذا أعرض ونأى بجانبه بعد ذلك تركه الله وما أختار لنفسه وولاه ما تولى.

قال تعالى:﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]

ومما تقدم يتضح أن اللـه لايهـدى الفاسـقين ولا الظـالمين ولا المتكبرين وكل من اتبع هواه ولا يهـدى الكـافرين ولكنـه تركهم لأنفسـهم وما اختاروا مـن طريـق الضـلال فـإن غيروا ما بأنفسـهم ورجعـوا إلـى طريـق اللـه فاللـه يفرح بتوبتهـم ويتـوب عليهم ، أمـا إذا اسـتمروا فـى طغيانهم فلا يزيدهم إلا خسارا وقبل أن نخـوض فـى هدايـة الذيـن ضلـوا نوضح أنواع الهدايات.

أنواع الهدايات

الهدايات أربع أنواع على النحو التالى :

الهداية الأولى : **هداية الوجدان الطبيعى والإلهام الفطرى**

وهى تكون لجميع الكائنات على وفق ما أراد الله تعالى حيث قال عز وجل فى شأن موسى عليه السلام مع فرعون :

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠)﴾ .
[طه] .

فإذا تأملنا مخلوقات الله تعالى لوجدنا أن الله ألهم كل مخلوق كيف يعيش ، وكيف يدافع عن نفسه ، وكيف يدافع عن نسله بالغريزة والفطرة ، وكيف ينظم حياته ، وهو ما يدعونا للتأمل فى قدرة الله تعالى وإلهامه الفطرة لكل المخلوقات ، وعلى سبيل المثال النحل وأسلوب حياته فى تشييد بيوته ، والسعى على الرزق مما يدل على أن ذلك إيحاء من رب العزة ويتضح ذلك فى قول المولى عز وجل:

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾ .
[النحل: ٦٩]

فالله تعالى ألهم كل مخلوق ما يستطيع به أن يواصل حياته على أن يكون وجوده فى الكون لحكمة يعلمها الله تعالى .

وقال الصاوى على شعلان رحمه الله:

داعب النحل من الزهر شذاه	**وأحال الورد شهدا فى رباه**

وبنت هندسة النمل قراه

مرشد النحلة مـــــن ملهم النملـــــة مـــــن

الجنين استقبل الرزق الجديد وتوالى وهو فى المهد السعيد

قبل أن تنبت أسنان الوليد

أطعمته يـــد مـــن صورته يـــد مـــن ؟

لم يا مخلوق آثرت الجحود وكنت معدوما فمن أين الوجود

أهى الصدفة أم رب ودود

الهداية الثانية : هداية الدعوى والإرشاد :

هذه الهداية تختص بالنصح وتوضيح الطريقين ، طريق الخير وطريق الشر ، ونجدها صريحة من المولى عز وجل متمثلة فى الكتب السماوية التى أرسلها على أنبياءه ، فالله سبحانه وتعالى بين الحق من الباطل ، وأرشد عباده ووضح لهم الطريق على يدى أنبياءه.

قال تعالى:﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[الشورى:٥٢] . أى أنت يا محمد تدعوا وتدل على طريق الله القويم وعن البراء بن عازب قال رأيت النبى فى يوم الخندق ينقل معنا التراب وهو يقول: « الحمد لله لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا فأنزلن السكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا والمشركون قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا» رواه البخارى .

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥ ﴾[النساء]

فهذا النوع من الهدايات يكون للبشرية جميعاً كما فى الآية .

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾[فصلت:١٧].

فما من أمة إلا وأرسل الله لها رسولاً يوضح لها الطريق ويبينه . ونجد فى هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى وضح لثمود طريق الرشاد وبينه لهم . ولكنهم أحبوا المعصية فخالفوا واتبعوا طريق الضلال فقال تعالى:

﴿ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[فصلت]

النوع الثالث : هداية التوفيق والإعانة :

ويختص الله بها من اتبع طريقه وسار على منهجه فلا يمنحها الله إلا عباده المؤمنين ، قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾[الأنعام:٨٢]

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾[محمد:١٧]

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾[التغابن:١١] .

فهداية الإعانة والتوفيق لا تكون إلا لمن قبل بهداية الإرشاد وطلب العون من الله وإن كان الرسل يقومون بهداية الإرشاد فإنهم لا يملكون هداية التوفيق والمعونة ، قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ :

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[القصص: ٥٦]

فهو يساعد من يتبع الطريق القويم الذى أرشد الرسل إليه صلوات الله وتسليماته عليهم أجمعين ، أما من رفض هداية الإرشاد فلا إعانة ولا توفيق له .

قال تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه]

وعن سعيد بن المسيب قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أمية بن المغيرة فقال النبى ﷺ لأبى طالب: أى عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبدالله ابن أمية: أترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ فلم يزل النبى ﷺ يعرضها عليه ويعيدانه هما بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة عبدالمطلب. وأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال النبى ﷺ : أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك . فأنزل الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣]

وأنزل الله تعالى فى أبى طالب على رسوله ﷺ :
﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦] - - - » رواه البخارى

النوع الرابع : الهداية إلى الجنة أو النار :

وهذه الهداية نتيجة حتمية للأنواع الثلاثة السابقة لها فمن راقب الله واتبع رسله فى استغلال المقومات الفطرية التى أعطاها الله لـه فيما يرضيه وفقه الله وأعانه إلى طريق الجنة فنعم الثواب من رب العزة.

قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[الأعراف:٤٣].

أما من أعرض ونأى بجانبه عن طريق الله واتبع طريق الشيطان فلن يهديه الله إلا إلى النار . قال تعالى

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾

[النساء].

قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه:

لادار للمرء بعد الموت يسكنها	إلا التى كان قبل الموت يبنيها
فان بناها بخير طاب مسكنه	وان بناها بشر خاب بانيها
النفس ترغب فى الدنيا وقد علمت	أن السلامة فيها ترك مافيها
فاغرس أصول التقى ما دمت مجتهدا	واعلم بأنك بعد الموت لاقيها

الله لا يهدى الفاسقين

والفاسق هو الذى اعتاد الخروج عن منهج الله تعالى فهو لا يحفظ لله حدوده ولا يلقى بالا بشرائعه فهو قائم على ضلالة وقد أقام بفسقه حجاباً بينه وبين ربه ، فالله تعالى يتركه يتخبط فى ضلالات الفسق والفجور قال تعالى:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]

فإذا آثر العبد الفسق والخروج عن منهج الله تركه الله وما اختار لنفسه على أن تكون عاقبته جهنم وبئس المصير. قال تعالى عن بنى إسرائيل :

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[الصف:٥].

وفى السنن وجامع الترمذى من حديث أبى صالح عن أبى هريرة قال:« قال رسول الله ﷺ إن المؤمن إذا أذنب ذنباً نكتت فى قلبه نكتة سوداء فإذا تاب ونزع واستغفر وإلا صقل قلبه إن زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذى ذكره الله عز وجل :

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[المطففين: ١٤]

قال الترمذى حديث صحيح فمن آثر الغى على الرشاد أقره الله على مراده وتم له ما يبغى فالفاسق قائم على ضلالة وإضلال الله له هو أن يتركه يتخبط فى ضلالاته ولا يعينه على الخروج منها .

قال تعالى:

﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٢٧ ﴾ [البقرة]

الله لا يهدى المتكبرين

التكبر فى اللغة : هو التعظم وإظهار العظمـة فـالمتكبر هـو الـذى يرى أنه أفضل من الخلق وأن له من الحق ما ليس لغيره .

واصطلاحا : إظهـار المرء إعجابـه بنفسـه فـى صـورة تجعلـه يحتقـر الآخرين.

وجاء فى الحديث « أن النبى ﷺ قال لا يدخل الجنة من كـان فـى قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل إن الرجـل يحـب أن يكـون ثوبـه حسـناً ونعله حسناً فقال عليه الصلاة والسلام إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس » (*) رواه مسلم.

فمن اتخذ التكبر له سبيلاً فقد ابتعد عن طريق الحق وضل ضلالاً مبينا، قال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٦] .

فالله سبحانه وتعالى لا يهدى المتكبرين إلا إذا تركوا الكبر .

وقال تعالى فى الحديث القدسى { إنمـا أتقبـل الصـلاة ممـن تواضـع بهـا لعظمتى ولم يستطل على خلقى} رواه الدار قطنى.

(*) بطر الحق : انكار الحق ودفعه ترفعاً

غمط الناس : احتقارهم

الله لايهدى الكافرين

الكفر فى اللغة : الستر وحجب الشيء ووصف الليل بالكافر لأنه يستر الأشياء بظلامه . وشرعا : يطلق على معنيين أحدهما : كفر العمل وهو جحد المعروف وإنكاره ، ومن ذلك قوله تعالى فى شأن سليمان:﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾[النمل:٤٠] .

والمعنى الثانى للكفر هو كفر العقيدة وهو إنكار وجود الله ووحدانيته وما يجب له من صفات الكمال والجلال وقد يسبقه إيمان ويسمى ردة . قال تعالى :﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[البقرة: ٢١٧]

فمن سلك طريق الكفر والغى وابتعد عن منهج الله ماكان الله ليهديه .

قال تعالى:﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[آل عمران:٨٦]،

وقال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾[النساء:١٦٨]

فالله سبحانه وتعالى وهب الإنسان الحرية والاختيار لتحديد طريقه قال تعالى:﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[الكهف:٢٩]

فمن اختار طريق الإيمان أعانه الله ووفقه إلى مايحب ويرضاه وأما من اختار طريق الغي والكفر واتبع هواه تركه الله وما اختار لنفسه لا يصرفه عنه ولذلك حذرنا المولى عز وجل من إتباع الهوى وشهوات النفس قال تعالى:﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[ص:٢٦] .

فالله سبحانه وتعالى مكن الإنسان من الخير ومن الشر فهو لايجبره على الخير ولا يجبره على الشر ولا يبدل حاله من الخير أو الشر إلا إذا فعل الإنسان ذلك من نفسه قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[الرعد:١١] .

فمن سار على طريق الهدى هداه الله ومن سار على طريق الضلالة أضله الله.

الفصل الثالث

التوكل على الله

التوكل على الله

التوكل مشتق من الوكالة يقال : وكل أمره إلى الله أى فوضه إليه واعتمد عليه فيه. أما عن تعريف التوكل شرعاً : فهو أن يدرك الإنسان أن الله سبحانه وتعالى مدبر الأمر فيتجه إليه بقلبه معتمداً عليه فى كل شىء بعد أن سارت جوارحه على منهج الله تعالى .

ولقد عرفه أبو تراب النخشبى بأنه طرح البدن فى العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية فإن أعطى شكر وإن منع صبر .

ومفاد التعريف وما قاله بن القيم عن التوكل أنه حال مركبة من مجموع أمور لا تتم حقيقة التوكل إلا بها هى أركان التوكل وهى ثلاثة أركان على النحو التالى :

- **الركن الأول** : معرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وأنه هو المتصرف فى هذا الكون يدبر أمره وينظم شئونه قد أحاط بكل شىء علما، فلا يقع شىء فى الكون إلا بإذنه تعالى ، فلو اجتمعت الأمة على أن يضروك بشىءلن يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، وإن اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لن ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك . رفعت الأقلام وجفت الصحف .
- **الركن الثانى** : اعتماد القلب على الله وسكونه إليه فالمتوكل على الله من فعل ما أمر الله به ووثق بالله فى طلوع ثمرته كغارس الشجرة وباذر الأرض فهو يقوم بالعمل الذى سنه الله ويعتقد فى داخله بأن الفاعل الحقيقى هو الله سبحانه وتعالى . قال تعالى:

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[الواقعة]

وقال تعالى: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[الأنفال:١٧]

فلا يكون التوكل إلا ممن اتبع منهج الله وقد فعل ما أمره الله به قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء] .

فلا توكل إلا إذا قامت الجوارح بالطاعة وامتنعت عن المعصية فمن اتجه إلى الله بقلبه لا تصدر منه إلا طاعة وفى ذلك قول الرسول ﷺ « لو خشع قلبه لخشعت جوارحه» . وعلى ذلك فالتوكل لا يكون إلا من المؤمن قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:٢٣]

فلا يقع التوكل إلا ممن سار على منهج الله واتبع هداه وصبر على كل ما لحقه من الأذى قال تعالى :

﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم: ١٢]

- **الركن الثالث : التفويض :**

وهو روح التوكل ولبه وحقيقته . ومعناه إلقاء الأمر إلى الله وإرجاعه إليه متى انقطعت الأسباب .

قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾[البقرة:١٥٦].

ومن الدروس العملية فى تفويض الأمر إلي الله ماجاء فى القرآن العظيم على لسان الرجل المؤمن من آل فرعون .قال تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾ ﴾ [غافر]

فلما مكروا وأرادوا التنكيل به فوض أمره إلى الله فهو لا يملك شيئا أمام سطوة وجبروت فرعون وجنوده قال تعالى على لسانه:

﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ [غافر]

فتفويض الأمر إلى الله لا يكون حقيقة إلا إذا انقطعت الأسباب . وصدق من قال [١٠٥: ٤٠]:

سهرت أعين ونامت عيون ... فى أمور تكون أو لا تكون

إن ربا كفاك بالأمس ماكان ... سيكفيك فى غد ما يكون

إما إذا كانت الأسباب موجودة فلا تفويض وعلينا أن نسلك طريق الأسباب ونسأل الله العون والتوفيق، قال تعالى:

﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾[الفاتحة:٥] .

وهذا هو منهج القرآن والسنة فعلينا التمسك به وطرح ماعداه، قال عليه الصلاة والسلام:« تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى » رواه الحاكم. فالتوكل أمر اعتقادى لايتحقق إلا إذا كان الإنسان قائماً على منهج الله يأتمر بأمره وينتهى عما نهى عنه.

والإيمان والعمل الصالح شرط التوكل ولايقع التوكل إلا بهما، قال تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:٢٣] . وقال عليه الصلاة والسلام: « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى »رواه الترمذى. فالتوكل على الله معناه أن تعتقد أنك ما دمت سائراً على منهج الله تعالى تفعل ما يرضيه تائباً عما يغضبه فعون الله معك وتوفيقه وهذا لا يكون إلا للمؤمنين.

وإذا أردنا أن يتضح لنا مفهوم التوكل على الله أكثر فعلينا أن نتأمل قصة سيدنا موسى عليه السلام عندما آلمه ضرسه فنادى ربه قال:« رب أرفع عنى هذا البلاء، فقال له الله اذهب إلى مكان كذا ستجد عشب كذا تضعه على ضرسك ستشفى، فذهب وفعل فشفى بإذن الله، ومرت الأيام وضرس سيدنا موسى عليه السلام آلمه مرة أخرى فتذكر أن العشب هو الذى أذهب عنه هذا الألم، فذهب إلى مكان العشب ووضع منه على ضرسه ولكنه فوجئ بأن الألم لم يذهب، فنادى ربه قال: ربى إن العشب فى المرة الأولى أذهب الألم، وفى المرة الثانية لم يذهب الألم. فقال له الله سبحانه وتعالى: يا موسى فى المرة الأولى قصدتنى فشفيتك بالعشب، وفى المرة الثانية قصدت العشب فتركتك له».

فعلى الإنسان أن يقصد الله فى كل شىء ، فلا حول فى هذا الكون ولا قوة ولا حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله وإذنه ، فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان ضعيفا وأخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئا ، وأعطاه أدوات السمع والبصر والفؤاد ليعلم ما لم يكن يعلم . قال تعالى:

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ ﴾ [الانسان].

فالإنسان لا حول له ولا قوة إلا بالله الذى خلقه فسواه واسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة .

قال تعالى :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[النحل:٥٣].

توكل محمد ﷺ

لقد بدا جلياً أن التوكل لا تكتمل أركانه ولا تتضح كل معانيه إلا إذا انقطعت الأسباب ، ويتضح هذا فى مواطن الشدة فتعالوا بنا لنعايش موقفاً من مواقف الشدة مع رسول الله ﷺ ، ونرى توكله عليه الصلاة والسلام ، فيوم الهجرة كان عليه الصلاة والسلام متوكلا على الله ، فماهي حقيقة التوكل ؟. إذا تأملنا واقعة الهجرة أدركنا ماهى حقيقة التوكل الذى أمرنا به الله عز وجل وميزناه عن التوكل الذى أمرنا به الشيطان لنشترك سويا فى نفس المصير أعاذنا الله من جهنم.

فعندما أراد رسول الله ﷺ الهجرة أخذ يدرس الموقف حتى تتضح معالمه ويعد لكل أمر عدته ، وبناء على ذلك خطط فأحسن التخطيط ورتب فأحسن الترتيب فاشترى ناقة ليهاجر بها وتعينه على السفر وأمر عليّ أن ينام فى فراشه حتى ينخدع المشركون ولا يلحقوا به عليه الصلاة والسلام واختار أبا بكر الصديق رفيقا له واختار من يدله على الطريق (عبدالله بن أريقط واختار (غار ثور) ليختبئ فيه حتى يهدأ البحث عنه ولم يختاره ناحية يثرب تعمية على القوم وهيأ من يأتى له بالزاد والأخبار (أسماء بنت أبى بكر) ومن يزيل أثر الأقدام بالغنم (عامر بن فهيرة) فكان رسول الله ﷺ يعمل كل هذا طاعة لله وعملا بأوامره فقد قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾[النساء:٧١].

وما دام الرسول ﷺ قد أطاع الله وأخذ حذره فكان حقا له أن يتوكل على الله وذلك نجده عندما وقف المشركون أمام الغار فقال أبو بكر : « يا

رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرأنا » . عند هذه اللحظة اكتملت أركان التوكل حيث انقطعت الأسباب من يد رسول الله ﷺ ففي هذه اللحظة ليس بيده أن يفعل شيئا ففوض أمره إلى الله وقال : « يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا » . ويسجل لنا القرآن الكريم هذه اللحظة الإيمانية

قال تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[التوبة:٤٠]

فرسول الله ﷺ علم أنه مادام قد فعل كل ما بوسعه للنجاة من المشركين وبقى ما لم يقدر عليه فتركه لربه وراعيه يدبره بما يشاء من الأسباب أو بغير الأسباب أصلاً إن شاء عز وجل فقال تعالى :﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة:٤٠] .

توكل موسى عليه السلام

لقد مكر فرعون وجنوده بموسى عليه السلام وأتباعه قال تعالى على لسان فرعون:

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء:٤٩] .

فما كان أمام موسى عليه السلام إلا الهجرة ، ولابد أن تكون على حين غفلة من فرعون وجنوده حتى ينجوا عليه السلام وأتباعه. قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾[الشعراء:٥٢].

فموسى عليه السلام فعل كل ما بوسعه لكى لا يعلم فرعون وجنوده بهجرته وأتباعه حيث أنه هاجر فى جنح الظلام ولكن جنود فرعون منتبهون لموسى وأتباعه فاتبعوهم يريدون أن يفتكوا بهم قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾[الشعراء:٦١] .

فعندما رأى أتباع موسى قدوم فرعون أمام جنوده وكثرة عددهم وعدتهم أيقنوا بالهلاك سبيلا. عند هذه اللحظة اكتملت أركان التوكل حيث انقطعت الأسباب وأصبح موسى وأتباعه لايملكون من أمرهم شيئاً أمام كثرة العتاد والعدد ففوض موسى أمره إلى الله وأجاب قومه قائلا:

﴿ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[الشعراء:٦٢]. فموسى عليه السلام علم أنه مادام وفى حق الله ولم يقصر وفعل كل ما بوسعه فالله لن يتخلى عنه وقد كان فإن وعد الله لن يتخلف .

قال تعالى:

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الشعراء]

تواكل أولياء الشيطان

للأسف الشديد نحن نعيش فى زمن كل شـىء تراه فيه بالمقلوب حتى أن بعض الألفاظ التى جعلها الله من أسمى الكلمات أصبحت تستعمل بالمقلوب وعلى سبيل المثال لفظ طيب والذى عبر الله به فى قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [إبراهيم:٢٤]

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً » أصبحنا لا نراها تستعمل فى مكانها التى وضعها الله فيه فإذا قلت لشخص : أنت طيب فواحدة من إثنتين إما أن تقصد أنه لايفقه شيئاً وإما أن يفهم هو ذلك ، فياله من زمن أغبر ، وعلى هذا الحال لفظ التوكل أصبح يستعمل فى غير موضعه ويتجاهلونه فى موضعه والفضل فى كل ماسبق لسيد القوم ووليهم إنه الشيطان الذى قال الله عنه:

﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ﴾ [الأنعام:١٢١].

فالشيطان يوسوس للإنسان بالكسل وعدم القيام بما أوجبه الله عليه ويوهمه بأن ذلك توكل على الله ولذلك حذرنا المولى عز وجل منه فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [فاطر:٥] ،

فوسيلة الشيطان فى إضلال البشر هى الخداع والتغرير وتلبيس الحق بالباطل ولذلك عندما أراد أن يوقع آدم فى المعصية استخدم نفس الوسيلة قال تعالى:

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾ [الأعراف:٢٢]

وقال عنه أيضا:

﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[النساء:١٢٠] .

ومع كل هذا فليس لإبليس سلطان على ابن أدم قال تعالى على لسانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ﴾[إبراهيم:٢٢] .

والتوكل على الله لا يتحقق إلا إذا تحقق شرطه ، فهو يقوم على الإيمان والعمل الصالح ، فإذا فقد الإنسان هذا الشرط فلا توكل لأن التوكل معناه أن تتبع منهج الله مهما كلفك ذلك من العناء فإذا تحقق منك ذلك فستجد أن الله معك يرعاك ويحفظك ويكفيك كل شيء ، فالتوكل معناه أن الله سيحميك وينصرك ويتولاك بالرعاية والتوفيق ولن يخذلك فبأى وجه يدعى من يعصى الله ورسوله أنه متوكل على الله ، والله يقول: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[الأحزاب:٣٦] .

تقول رابعة العدوية :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى القياس بديع

لو كنت صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وبأى وجه يدعى من أظهر فسقه أنه متوكل على الله ، والله يقول:

﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[البقرة:٢٦] .

وكيف تدعى أنك متوكل على الله وأنت ظالم لنفسك ولخلق الله، والله يقول:

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[الأعراف:١٤٦].

وكيف تدعى أنك متوكل على الله وأنت لا تتبع منهجه وتتبع هواك وتضلل خلق الله، والله يقول:

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ... ﴾[الجاثية:٢٣]

وكيف تدعى أنك متوكل على الله وأنت غير صابر على ماأصابك غير راض بقضاء الله ، والله يقول على لسان رسله:

﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[إبراهيم:١٢].

الفصل الرابع

القدر والرزق

القدر والرزق

المقدور قدر بأسبابه ولم يقدر مجردا عن سببه فالأسباب هي الطريق للوصول إلى النتائج فلا تقع النتائج بلا أسباب إلا على يد الأنبياء والرسل وهو مايسمى بالمعجزة أو عندما تنقطع الأسباب على يد عبد صالح تسمى بالكرامة وكلاهما - المعجزة والكرامة - استثناء من القاعدة العريضة التي هي الأصل.

« ولذلك نجد سيدنا يوسف عليه السلام وضع خطة لإنقاذ مصر من القحط والمجاعة لخمس عشرة سنة وقام هو على تنفيذها أساسها زيادة الإنتاج في سنوات الخصوبة السبع مع تقليل الاستهلاك وخزن القمح في سنبله ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ [يوسف: ٤٧] ثم الاستهلاك بقدر وحساب من المخزون خلال سنوات الجدب بحيث يكفي السبع الشداد كلها. كما أشار إلى ذلك القرآن ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [يوسف: ٤٨]

وفي قوله ما قدمتم لهن يفيد أن الاستهلاك لابد أن يكون محدد ومحسوب مثل التوزيع بالبطاقات وغير ذلك وفي قوله: ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴾ [يوسف: ٤٨] إشارة إلى استبقاء بعض الحبوب لتستخدم بذورا عندما يجئ الغيث ويبعث الماء وإلا لم يكن للماء فائدة إذا انعدمت البذور وقد قام يوسف بهذه المهمة ونجى الله على يديه مصر وما حولها من البلاد ببركة هذا التخطيط المحسوب وسجل الله ذلك في كتابه » [مرجع رقم ٣٩].

ويتضح من ذلك أنه يجب علينا أن نأخذ بالأسباب ولا ننسى المسبب فالله هو الذى خلق الأسباب وأمرنا أن نسلك طريقها قال تعالى :

﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾[فاطر:٣] ،

وقال تعالى:

﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾[البقرة:٢٢]

فالله سبحانه وتعالى هو الخالق الرازق وما من دابة خلقها الله فى الأرض إلا وقد خلق لها رزق يرزقها إياه حتى ينتهى أجلها الذى أجل لها قال تعالى:﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[هود:٦]

فالرزق بيد الله سبحانه وتعالى يهب لمن يشاء مايشاء ، والإنسان عليه أن يأخذ بالأسباب ويعلم تمام العلم أن النتائج بيد الله تعالى .

ولقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يسأل شيئاً من المال وهو قوى معافى. « فقال الرسول ﷺ : أما فى بيتك شىء؟ قال: بلى حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه الماء. فقال الرسول ﷺ: أئتنى بهما فأتاه بهما فأخذهما رسول الله بيده وقال: من يشترى هذين؟ فقال رجل أنا أخذهما بدرهم. فقال رسول الله ﷺ من يزيد على درهم؟ وكررها مرتين أو ثلاث. قال رجل أنا أخذهما بدرهمين. فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين فأعطاهما الرجل الأنصارى وقال له اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك واشترى بالآخر قدوماً فأتنى به فأتاه فشد فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده ثم قال : اذهب فاحتطب ولا أرينك خمسة عشر يوماً. ففعل. ثم جاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها

طعاما. فقال رسول الله ﷺ: هذا خير من أن تجىء المسألة نكتة (علامة) فى وجهك يوم القيامـة ، إن المسألة لا تصلح إلا لذى ثلاث: لذى فقر مدقع شديد ، أو لذى غرم مفظع (دين كثير) ، أو لذى دم موجـع (وجبت عليه الدية ولا يمتلك أن يدفعها)» رواه أبو داود والبيهقى والترمذى.

ولله در القائل [٢٥٢ : ٦]:

لا تخضعن لمخلوق على طمـع	فإن ذلك نقص منك فى الدين
لا يقدر المخلوق أن يعطيك خردلة	إلا بإذن الذى سواك من طين
واسترزق الله مما فى خزائنه	فإن رزقك بين الكاف والنون

والله سبحانه وتعالى لم يساوى بين عباده فى الرزق ولا الخلق ولا القوة ولا الفضل وذلك حتى تعمر الأرض فكل ما يعطيه الله للإنسان إنما هو للاختبار والابتلاء. فالدنيا دار بلاء وليست دار نعيم ولذلك يستنكر المولى عز وجل أن يفهم الإنسان أن الدنيا دار نعيم فى قوله تعالى﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ﴾ [الفجر: ١٧].

جاء فى تفسير القرطبى « ابتلاه » أى امتحنه واختبره بالنعمة «فأكرمه» بالمال « ونعمه » بما وسع عليه ، « أما إذا ابتلاه فقدر عليه رزقه » أى امتحنه بالفقر واختبره فضيق عليه رزقه « كلا» رد أى ليس الأمر كما يظن ، فليس الغنى لفضل الله ولا الفقر لهوانه وإنما الفقر والغنى من تقديره وقضائه وفى الحديث القدسى يقول الله عز وجل : { كلا إنى لا أكرم من أكرمت بكثرة الدنيا ولا أهين من أهنت بقلتها وإنما أكرم من أكرمت بطاعتى وأهين من أهنت بمعصيتى}. وفى

الحديث النبوى يقول عليه الصلاة والسلام:« إن الله يعطى الدنيا لمن أحب ولمن لا يحب، ولا يعطى الدين إلا لمن أحب» رواه ابن المبارك عن أنس .

يقول على ﷺ جعت يوماً فذهبت إلى عوالى المدينة أطلب عملا فوجدت امرأة قد جمعت تراباً متلبدا تريد بله بالماء فبادلتها كل ذنوب على تمرة فملأت لها ستة عشر ذنوبا حتى مجلت يدى – أى احمرت – فبسطت كفى لترى أثر العمل فعدت لى ست عشرة تمرة فأخذتها وذهبت إلى رسول الله ﷺ وأخبرته بما حدث ففرح عليه الصلاة والسلام وأكل معى [٥٧: ٦].

والرزق أنواع منه ما يأتى إلى الإنسان فى مكانه ومنه ما لايأتى إلا إذا سعى الإنسان إليه وجاء به ، والله سبحانه وتعالى خلق الطير وخلق له ما يرتزق به ولكنه أوحى إلى الطير أن يسعى لطلب الرزق ويأتى به .

قال ابن القيم رحمه الله :

وكن بالذى قد حط باللوح راضيا	فلا مهرب مما قضاه وخطه
وإن مع الرزق اشتراطة التماسه	وقد يتعدى إن تعديت شرطه
ولو شاء ألقى فى فم الطير قوته	ولكنه أوحى إلى الطير لقطه

وكما أن الهجرة شرعت ليفر المرء بدينه من الفتنة شرعت أيضا عندما يضيق العيش على الإنسان فى مكان ويسلك كل سبيل ليحصل على رزقه ولكنه يجد الطريق مسدوداً أمامه فى هذه الحالة يجب على

الإنسان الهجرة من هذا المكان إلى مكان آخر، والله سوف يعينه ويرزقه إن فعل ما أمره به، قال تعالى:

﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾[النساء: ١٠٠]

والإنسان إذا هاجر لطلب الرزق ابتغاء مرضاة الله فهو في سبيل الله والله سبحانه وتعالى سوف ينصره ويرزقه. فقد روى الطبراني والبيهقي أن رجلاً مر على النبي ﷺ فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه فقالوا « يا رسول الله لو كان في سبيل الله ! فقال رسول الله ﷺ : إن كان خرج يسعى على ولده صغار فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج على نفسه يعفها فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو ليس في سبيل الله (وفي رواية فهو في سبيل الشيطان) » .

أما عن الرزق في الجنة : فهو لا يحتاج إلى مشقة وتعب . قال تعالى لآدم عن الجنة: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾[طه]

وقال أيضا عن رزق الجنة:﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾[الذاريات] .

فهذه الآية جاءت في سياق الحديث عن أهل الجنة وما أعده الله لعباده المتقين ، وفيها إشارة واضحة إلى أن الجنة موجودة أعد الله فيها الرزق، وكل ما وعد به لعباده الصالحين وهذا حق.

الفصل الخامس

الدعاء والقضاء والقدر

الدعاء والقضاء والقدر

بداية نقول أن الله سبحانه وتعالى علم ما سيصدر عن الإنسان سواء كان قولاً أو فعلاً أو غير ذلك . والمقدور قدر بأسبابه ولم يقدر مجردا عن سببه والدعاء من أسباب القدر. فالدعاء نافع مفيد ، وكما جاء في الحديث الذى رواه الحاكم فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « لا يغنى حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة » . بمعنى أن البلاء ينزل فينجى الله منه صاحب الدعاء .

والقدر هو علم الله ويدخل فيه علم ما لم يكن لو كان كيف يكون، فالله سبحانه وتعالى علم أنك ستدعو بدعاء كذا لدفع بلاء كذا وسيستجيب لك ، وعلم أنه لولا دعاءك هذا لوقع بك البلاء . فالدعاء كان هو السبب الرئيسى فى دفع البلاء ، فالدعاء رد القدر. فعن ثوبان عن النبى ﷺ قال: « لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد فى العمر إلا البر وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » رواه ابن حبان فى صحيحه.. ومما سبق يتضح أن الدعاء يرد القدر ؛ لأنه من القدر .

وعن أنس بن مالك قال: « أصابت الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ فبينما رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة قام أعرابى فقال : يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله أن يسقينا قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه وما فى السماء من قزعة أى (سحابة). قال فثار سحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره ﷺ حتى رأيت الماء

يتحادر على لحيته ﷺ . قال فمطرنا يومنا ذلك وفى الغد ومن بعد الغد والذى يليه إلى الجمعة الأخرى . فقام ذلك الأعرابى أو رجل غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال : اللهم حوالينا ولا علينا . قال فما جعل رسول الله ﷺ يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا تفرجت حتى صارت المدينة مثل الجوبة حتى سال الوادى شهرا قال: فلم يجئ أحد من ناحية إلا حدث بالجود » أخرجه البخارى.

ولا يخفى على اللبيب فضل الدعاء [٣٤ : ٤٠]:

أتهزأ بالدعاء وتذدريه	وما يدريك ما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطئ ولكن	لها أمد وللأمد انقضاء
فيمسكها - إذا ما شاء - ربى	ويرسلها إذا نفذ القضاء

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم أو قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث، إما أن يعجل له فى دعوته وإما أن يدخرها له فى الآخرة وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها. قالوا إذا نكثر ؟ قال: الله أكثر» رواه أحمد.

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال:«قال رسول الله ﷺ: يقول الله للعبد يوم القيامة: أكنت ترى لبعض دعائك الإجابة ولا ترى لبعضه؟ فيقول نعم: فيقول الله له: أما إنك ما دعوتنى بدعوة إلا وقد استجبت لك فيها. أليس دعوتنى يوم كذا وكذا فرأيت الإجابة؟ فيقول بلى. فيقول الله تعالى: ودعوتنى يوم كذا وكذا فلم تر الإجابة؟ فيقول العبد بلى. فيقول الله تعالى: فإنى ادخرتها لك فى الجنة. فلا يبقى له دعوة إلا بينها له حتى يتمنى المؤمن أن كانت دعواته كلها ذخائره فى الأخرة» أخرجه الترمذى.

الدعاء لا يرد القضاء

القضاء هو وقوع القدر، فما علم الله وقوعه لا يرده شيء في الأرض ولا في السماء. فالدعاء لا يرد ما علم الله وقوعه، ولهذا ورد في دعاء النبي ﷺ:«اللهم لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه».

ولتوضيح ذلك نفرض أن شخصاً ما ابنه مريض مكتوب في الأزل أن أجله سينتهي في يوم كذا في شهر كذا في عام كذا، وجاء الموعد المحدد، وقبل هذا الموعد أخذ والديه يدعوان له بالعفو والعافية، ومن المعروف أن دعاء الوالدين مستجاب فكيف يكون الموقف؟ . في هذه الحالة لا بد من نفاذ ما قضاه الله ولا يلتفت إلى الدعاء إلا بالأجر والثواب، وعلى المؤمن أن يكون راضياً بقضاء الله تعالى. فعن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: « عجباً لأمر المؤمن لا يقضي الله له شيئاً إلا كان خيراً له » رواه الإمام أحمد في مسنده. وفي رواية الإمام مسلم عن صهيب بن سنان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له».

وليست ثمة إشارة فيما سبق على ترك الدعاء في القضاء، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: « تعوذوا بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء» رواه البخاري. والتعوذ هنا من سوء القضاء ليس معناه رد القضاء ولكن معناه أنك تطلب من الله أن يحفظك ويرعاك عندما تنزل النازلة.

الفصل السادس

القدر والتداوى

القدر والتداوى

جاء فى مسند الإمام أحمد والسنن عن أبى خزامة قال : «قلت يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام هى من قدر الله » . أعتقد أنه رسخ فى الذهن أن قدر الله هو علم الله ، فالله سبحانه وتعالى علم ما يصيب الإنسان من أمراض وعلم أيضا ما يتداوى به من قديم الأزل ، فإذا هدى الإنسان إلى الدواء الذى خلقه الله لما أصابه من داء برأ بإذن الله ، أما إذا لم يقدر له الشفاء فلا يهدى للدواء .

فيجب على الإنسان أن يبحث ويجتهد فى التداوى ، ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له شفاء » . وفى صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله عن النبى ﷺ أنه قال : « لكل داء دواء فإذا أصاب الدواء الداء برأ بإذن الله عز وجل». وفى مسند الإمام أحمد عن أسامة بن شريك قال:« كنت عند النبى ﷺ وجاءت الأعراب فقالوا : يا رسول الله أنتداوى ؟ فقال عليه الصلاة والسلام نعم يا عباد الله تداووا ، فإن الله عز وجل لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله » .

فمن الغباء أن يترك الإنسان أسباب النجاة متعللا بقدر الله وذلك لأن الله أوجب على الإنسان أن يتداوى من المرض ويحافظ على صحته ويجب عليه أيضا أن يقى نفسه من المرض ويبتعد عنه ، جاء فى الحديث الذى رواه البخارى « فر من المجزوم كما تفر من الأسد ».

وجاء فى الحديث الذى رواه مسلم : « إذا وقـع الطـاعون بـأرض ولستم بها فلا تدخلوها » . وننهى حديثنا بقـول النبـى ﷺ : «إن مـن فقـه الرجل استصلاح معيشته وليس من حب الدنيا طلـب مـا يصلحـك » رواه الديلمى.

الفصل السابع

النذر والقدر

النذر والقدر

النذر هو التزام العبد ما لم يلزمه من الطاعات ، أو هو التعهد بالقيام بشىء من العبادات تقرباً إلى الله تعالى ، ولقد أثنى الله تعالى على الوفاء بالنذر فقال:

﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾[الإنسان:٧]

وقال تعالى:

﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾[البقرة:٢٧٠].

ولكن يكره النذر إذا تعلق بشرط كأن يقول فى نذره ، اللهم إن شفيت مريضى، أو رددت علىّ غائبى، أو قضيت حاجتى فى كذا .. لك علىّ أن أتصدق بكذا، أو أصوم ، أو أصلى . فعن عبد الله بن عمرﷺ : « أن النبى ﷺ نهى عن النذر وقال : إنه لايرد شيئاً وإنما يستخرج به البخيل » أخرجه البخارى ومسلم. فالنبىﷺ نهى عن النذر إذا كان مشروطا بقضاء الله وقدره أو لتحقيق شىء أولدفع بلاءوبين النبىﷺ أن النذر لا يرد شيئاً من القدر.

ونلاحظ أن حقيقة هذا النذر المنهى عنه أن تقول: « لو تحقق أمر كذا سأقوم بعمل كذا فأنت حقيقة لم تدع الله ليحقق لك مرادك بل علقت قيامك بالعمل على القدر وتحققه » . وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه قال: «لايأتى ابن أدم النذر بشىء لم يكن قد قدرته ولكن يلقيه القدر وقد قدرته له استخرج به من البخيل».

والنذر لدفع بلاء أو جلب منفعة قد يوافق القدر الذى قدره الله للعبد وليس معنى ذلك أنه أثر فى القدر وعلى الإنسان إذا أراد أن يرد الله القدر بالمصائب فليلجأ إلى الدعاء فلا يرد القدر إلا الدعاء كما فى الحديث « لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد فى العمر إلا البر وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » **رواه ابن حبان فى صحيحه.**

الفصل الثامن

الساحر والأقدار

الساحر والأقدار

قال الإمام النووى رحمه الله : مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر ، وأن له حقيقة كغيره من الأشياء الثابتة . قال تعالى عن السحرة الذين تحدوا موسى بسحرهم :

﴿ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف:١١٦]

وإن كان السحر من الحقائق الثابتة فهو يعتمد فى أساسه على خيالات باطلة لا حقائق لها وذلك بفعل جنود الساحر من الجن والشياطين.

وجمهور العلماء على أن السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع وأن رسول الله ﷺ عدّه من السبع الموبقات فهو من أكبر الكبائر ويكون كفراً متى تضمن قولاً أو فعلاً يقتضى الكفر أما تعلمه وتعليمه فهو حرام.

والساحر من المفسدين فى الأرض فهو يعبد الشيطان مقابل تسخيره لأعوانه وقد روى عن النبى ﷺ قال : « حد الساحر ضربه بالسيف » أخرجه الترمذى.

وقد يخدع الساحر الناس ويدعى أنه ولى الله ويأتى بأمور خارقة للعادة فى نظر الناس كأن يرى وهو يمشى على الماء أو يطير فى الهواء وكل هذا من قبيل التخيلات ، ودليل ذلك قول الله تعالى:

﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه:٦٦].

ويتضح مما سبق أن السحر لا يكـون إلا مـن فاسـق، وعلـى ذلـك فإذا ظهر أمر خارق للعادة وكان صاحبه بعيد عن منهج الله فهو سـاحر أما الكرامة وهى أمر خارق للعادة ، فلا تظهر إلا إذا انقطعت الأسباب ، ولا تظهر إلا على يد تقى مؤمن لا يدعى أنه يقدر على شىء بل ينسب كل شىء لله ، والساحر يسخر الشياطين بتعاويذ وأقوال كلها كفر يتقـرب بها إلى الشيطان ليعينه على تسخير جنوده من الجن والشياطين.

ويسخر الساحر الشياطين ليأتوه ببعض أخبـار السماء ، جاء فـى صحيح البخارى عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قـال « إذا قضـى اللـه الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك حتى إذا فزّع عن قلوبهم قـالوا مـاذا قـال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير فيسمعها مسـترق السـمع ، ومسـترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ، (وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه)، فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيهـا الآخـر إلـى مـن تحتـه حتـى يلقيها على لسان الساحر أوالكاهن ، فربما أدركـه الشـهاب قبـل أن يلقيهـا وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس. قد قال لنـا يوم كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء » .

ونوضح الحديث علـى النحـو التـالى:« إذا قضـى اللـه الأمـر فـى السماء ». أى تكلم الله بأمره الذى قضاه فى السماء مما يكون « ضربـت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقولـه كأنمـا سلسـلة علـى صفـوان » . أى أن الملائكة إذا سمعت الوحـى لجبريل يـأمر اللـه بـه. سـمعت كجـر سلسـلة الحديد على الحجارة فتفزع من ذلك تعظيما وهيبة ، قال ابن كثـير : هـذا

مقام رفيع فى العظمة ، فالله عز وجل إذا تكلم بالوحى فسمع أهل السماوات كلامه أرعدوا من الهيبة فيغشى عليهم ، فهذا هو حال الملائكة الذين هم أقوى وأعظم من البشر مع الله تعالى وهيبتهم منه وخشيتهم له عندما يأمر الله ويوحى إلى جبريل عليه السلام «حتى إذا فزع عن قلوبهم » أى زال الفزع والخوف والرهبة عن الملائكة «قالوا الحق » أى قالوا : قال الله الحق ، أما قوله « فيسمعها مسترق السمع» .أى أن الشياطين يركب بعضهم بعضا فيسمعون أصوات الملائكة، كما قال تعالى: ﴿ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحجر]

فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن - وذلك إذا لم يدركه الشهاب - فيكذب معها مائة كذبة، فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا فيصدق بالكلمة التى قيلت من السماء».

وعادة الساحر الكذب والنفاق ، فهو لايصدق ، بل إن كل مائة كلمة ربما تجد كلمة واحدة صدق ، حتى أنه إذا استرق له أعوانه من الجن السمع وتمكنوا من معرفة أمر سيقضيه الله أذاع الساحر بهذه الكلمة حتى يعرفها الناس جميعا ، فإذا وقعت استدل الناس بهذا الأمر على صدق الساحر مع أنه كذوب هو وأعوانه .

فالشياطين لا تعتاد الصدق ولا تضحى بنفسها فداء للساحر ، فكثيرا ما تكذب على الساحر وتوهمه حتى أنها إذا تمكنت من قتله هو وأولاده لفعلت ، فالكذب والنفاق فى دم الشياطين والسحرة وفى ذلك قول

النبى ﷺ فى حديثه عن الجنى مع أبى هريرة (لقد صدقك وهو كذوب) رواه البخارى. أعاذنا الله من السحر ومن الكفر.

الفصل التاسع

الثواب والعقاب

الثواب والعقاب

الثواب لغة هو : جزاء الطاعة وشرعاً هو الجزاء الذى أعده الله سبحانه وتعالى لعباده الصالحين الطائعين لأوامره المنتهين عن نواهيه ويقع الثواب فى الدنيا والآخرة ولكن جزاء الآخرة أوفى وأبقى .قال تعالى:﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾[الأعلى].

والعقاب فى اللغة جزاء الخطأ وشرعاً هو أخذ المرء بذنب وقع منه ، والعقاب يختص بالعذاب قال تعالى:﴿ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ﴾[غافر:٣].

ولقد اقتضت حكمته أن تكون الدنيا دار ابتلاء واختبار على أن تكون الآخرة دار ثواب وعقاب فأرسل الله رسله ليوضحوا الطريق لعباده مبشرين ومنذرين فمن رحمته تعالى أنه لم يترك أهواء البشر تتحكم فيهم وتقودهم إلى منحدر الفسوق والعصيان فحذرهم من ارتكاب المحرمات وأنذرهم بعقوبته وأنه تعالى يجازى المحسنين على إحسانهم ويعاقب المسيئين على إساءتهم.

فالله سبحانه وتعالى هو الحكم العدل الذى يجازى عباده على كل ما صدر منهم متى كان محلا للثواب والعقاب فهو تعالى يحاسب الإنسان على الصغيرة والكبيرة سواء بسواء كل على حسب مقداره .

قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة]

نزلت هذه الأية على النبى ﷺ وأبو بكر يأكل فأمسك وقال يا رسول الله: وإنا لنرى ما عملنا من خير وشر. قال عليه الصلاة

والسلام: « ما رأيت مما تكره (أى ما نزل بك من مصائب) فهو مثاقيل ذر الشر ويدخر لكم مثاقيل ذر الخير حتى تعطوه يوم القيامة» رواه ابن جرير. ومصداقه فى كتاب الله .

قال تعالى:﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾[الشورى: ٣٠]

وجاء فى صحيح مسلم عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها الله فى الدنيا ويجزى بها فى الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله فى الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها» فالله سبحانه وتعالى يجازى الإنسان على كل شىء .

قال تعالى : ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ ﴾[آل عمران: ١٩٥].

وقال تعال :﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ﴾[طه: ١١٢]

وفى صحيح البخارى « اتق الله ولو بشق تمرة » .

وكذلك الذنوب لا يهملها المولى عز وجل ولكنه قد يغفر الذنب مقابل حسنة عملها العبد أو مقابل بلاء نزل به ، فالله تعالى أعدل ما يكون بعباده ، قال تعالى :

﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾

[النساء: ١٢٣]

ففى هذه الآية : يقرر المولى عز وجل بأنه لا يهمل شيئا وأنه يجازى الإنسان على كل أعماله وأن الأمر راجع إليه وحده سبحانه وتعالى ، وكان عليه الصلاة والسلام يقول لعائشة : « إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالب » . وفى مسند الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه » رواه أحمد فى مسنده.

ولله در القائل [٦٩٥: ٢٧]:

فبادر إلى الخيرات قبل فواتها	وخالف مراد النفس قبل مماتها
ستبكى نفوس فى القيامة حسرة	على فوت أوقات زمان حياتها
فلا تغترر بالعز والمال والمنى	فكم قد بلينا بانقلاب صفاتها

وليس من الغريب فى هذا الزمان الذى نعيش فيه أنك إذا وجدت إنساناً قائماً على معصية الله ونصحته تجده يبرر ذنبه ويقول " إن الله غفور رحيم " قال هذا فى كتابه.

وذكر هذه الآية فى هذا الموضع إنما هو من قبيل قوله تعالى:

﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ﴾[الأنعام:١٢١].

لأن ذكر هذه الآية فى هذا الموضع هو لبس الحق بالباطل فهو قول حق أريد به باطل ، فالله تعالى لم ينزل هذه الآية لكى يستهين الإنسان بذنوبه، ولكن أنزلها لنتوب إلى الله ونلجأ إليه ونرجع له، فهو حقا غفور رحيم ولكن لمن المغفرة؟ ولمن الرحمة؟ .

نجد الإجابة عن هذا التساؤل فى كتاب الله تعالى:

﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾[طه:٨٢].

ففى هذه الآية نجد أن المولى عز وجل اشترط أربعة شروط لكى تنالك أخى المسلم مغفرته تعالى :

أولاً – التوبة: ﴿وإنى لغفار لمن تاب﴾ وهى تحتاج إلى خمسة شروط حتى يقبلها المولى عز وجل كما بينها العلماء: الإقلاع عن الذنب ، والندم على الماضى، والعزم على عدم العودة فى المستقبل، وأن تكون قبل الغرغرة، وقبل طلوع الشمس من مغربها، ويضاف إليها رد المظالم إلى أهلها إذا كانت تتعلق بالعباد:

ولله در القائل [٢٩ :٢٧]:

وتوبة حق الله يستغفر الفتى	**ويندم وينوى لا يعود إلى الردى**
ولمن تاب من غصب فيشرط رده	**ومع عجزه ينوى متى وات يردد**

ثانيا – الإيمان : ﴿وإنى لغفار لمن تاب وأمن ﴾ والإيمان يوضحه قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأنفال]

ثالثا – العمل الصالح ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ [طه: ٨٢] ويتمثل فى القيام والسير على منهج الله وترك ما عداه إذا تعارض معه.

رابعا – الهداية ﴿وإنى لغفار لمن تاب وأمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾. ولنتأمل هنا كيف عطف الله الشروط الثلاثة الأول بحرف العطف (الواو) ثم عطف الهداية بحرف (ثم) للدلالة على أن الهداية تأتى كنتيجة للتوبة والإيمان والعمل الصالح. فإن تحقق ما سبق أدخله الله فى مغفرته.

أما الرحمة وهى الشق الثانى من الآية « غفور رحيم » فقد تناولها المولى عز وجل بالتوضيح ولمن تكون فقال تعالى:

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) ﴾ [الأعراف]

فهذه الآيات تناولت الشروط التى إن قام بها العبد أدخله الله فى رحمته، وإذا أردت أن تستوضح هذه الشروط فارجع إلى كتب التفسير.

فعلى الإنسان أن يدين نفسه بنفسه ، ويعمل أكثر ، ويكون حريصاً على طاعة الله، خائفاً حذراً من معصية الله، وذلك عملا بقول النبى ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى» رواه الترمذى.

وقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) ﴾ [السجدة]

فالإنسان الطائع المستقيم عليه أن يكون خائفا من الله تعالى لأنه لا يضمن أعماله أهي مقبولة أم مردودة عليه فربما يكون الإنسان مثلا يصلى وهو لا يستوفى شروط الصلاة فلا يقبل منه .

قال تعالى فى الحديث القدسى :{إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ولم يستطل على خلقى وقطع نهاره فى ذكرى ولم يبت مصر! على معصيتى ورحم المسكين والأرملة والمصاب} رواه الدار قطنى، أو كما قال عليه الصلاة والسلام : « لا صلاة لمن لم تنهه عن فعل المنكر » . فالمؤمن يخشى الله ويراقبه أما المنافق فقد تحجر قلبه فلا يخاف الله عز وجل.

ولله در القائل [٢٩٧: ٢٧]:

إذا ما الليل أظلم كابدوا	فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا	وأهل الأمن فى الدنيا هجوع
لهم تحت الظلام وهو سجود	أنين منه تنفرج الضلوع
وخرص فى النهار لطول صمت	عليهم من سكينتهم خشوع

وروى ابن حبان فى صحيحه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال فيما يرويه عن ربه : قال الله سبحانه وتعالى { وعزتى وجلالى لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين . إن أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة . وإن خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة } .

قال تعالى:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات]

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد]

ومن كل ما تقدم اتضح أن الإنسان حر فى أفعاله وبناءاً على ذلك ترتبت مسئوليته على هذه الأفعال فيثاب عليها إن كانت خيرا ويعاقب عليها إن كانت شرا.

قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون]

وقال الشاعر [١٧٩: ٦]:

أما والله لو علم الأنام — لما خلقوا لما غفلوا وناموا
لقد خلقوا ليوم لو رأته — عيون قلوبهم ساحوا وهاموا
فمماث ثم حشر ثم نشر — وتوبيخ وأهوال عظام
ليوم الحشر قد عملت أناس — فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن إذا أمرنا أو نهينا — كاهل الكهف أيقاظ نيام

وقال عمر بن عبدالعزيز فـى خطبـة لـه : « أيهـا النـاس إنكم لـم تخلقوا عبثا ولم تتركوا سدى وإن لكم ميعاد يجمعكم اللـه عز وجل فيـه للحكم والفصل بينكم فخـاب وشقى عبدا أخرجـه اللـه مـن رحمتـه التـى وسعت كل شيء وجنتـه التـى عرضهـا السماوات والأرض وإنمـا يكـون الأمان غدا لمـن خـاف اللـه تعـالى واتقـى وبـاع قليـلا بكثـير وفانيـا ببـاق وشقاوة بسعادة ألا ترون أنكم فى كل يوم تشيعون غاديا راجعـا إلـى اللـه قد قضى نحبه وانقطع أمله وفارق الأحباب وواجه الحساب »[٢٢٣ :١].

وما أجمل قول على بن أبى طالب ﷺ:

لا دار للمرء بعد المـوت يسكنهـا	إلا التى كان قبل المـوت يبنيهـا
فان بناها بخير طـاب مسكنـــه	وان بناهـا بشـر خـاب بانيهـا
النفس ترغب فى الدنيا وقـد علمت	أن السلامـة فيهـا تـرك مافيهـا
فاغرس أصول التقى مادمت مجتهدا	وأعلم بأنـك بعد المـوت لاقيـهـا

الفصل العاشر

متعلقات القضاء والقدر
فى الفكر التربوى الإسلامى

متعلقات القضاء والقدر
في الفكر التربوى الإسلامى

رسم الإسلام للتربية منهجاً متكاملاً يتناول الإنسان من جميع نواحيه ، بهدف وجود المسلم المتكامل السوى ، فالإسلام يربى أبناءه على البعد عن الحقد والكراهية والحسد والجدال عامة ؛ لأنه يولد تلك السمات المبغوضة ويدعونا للحوار السمح الهادف.

والإنسان إلى جانب كونه كائناً عاقلاً فهو يتميز بالقدرة على اختيار البدائل اختياراً حراً واعياً يتحمل مسئولياته، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البلد].

وقوله تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]

ومن ثم تنادى التربية الإسلامية بضرورة اقتران الدين بالدنيا فى الفكر والأخلاق والسلوك لأن إهمال الجانب الدينى فى العملية التربوية يعكس ظلمة القلب، وإتباع الهوى الذى يقود الإنسان إلى الضلال، أما الإيمان بالله والتوكل عليه واللجوء إليه بالدعاء يشعر الإنسان بأن له سنداً قوياً فى هذه الحياة، وذلك من أهم وسائل الوقاية من الأمراض النفسية، فالتوكل على الله حين يتغلغل فى النفس البشرية يدفعها إلى السلوك المستقيم.

كما أن التربية الإسلامية تدعونا للأخذ بالأسباب للوصول إلى النتائج ، ومن الأسباب التى ارشدنا إليها المولى عز وجل لإصلاح دنيانا وآخرتنا السعى لطلب الرزق.

قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك]

فالإسلام ينهانا عن التكاسل أو أن نترك أسباب النجاة تعللا بالقدر ويدعونا للحفاظ على الصحة لتساعدنا فى السعى لطلب الرزق ، وذلك بالتداوى عند المرض ، وينهانا عن الاستسلام للقدر ، فيجب على الأنسان أن ينازع القدر بالقدر.

ليس هذا فحسب بل الاسلام يربط الحياة الدنيا بالأخرة ولهذا الارتباط شأنه فى تقويم الأشياء والأعمال والحكم عليها ، فالفكر التربوى الإسلامى المستمد من كتاب الله والهدى النبوى اتخذ من أسلوب الثواب حافزا لتربية القيم الأسلامية الفاضلة واتخذ من أسلوب العقاب رادعا قويا لينأى بالأنسان عن طريق الضلال والشر ، لأن كلامن الثواب والعقاب من أهم المبادىء المؤثرة فى النفس البشرية.

فالفرد عندما يوقن أنه اذا التزم أوامر الله يفوز فى الدنيا والأخرة سيكون ذلك دافعا قويا للتمسك بمنهج الله تعالى أما اذا نهج طريق الشرور والمعصية سوف يحسر الدنيا والأخرة ، كان ذلك مانعا يبعد الفرد عما يغضب الله. فأعمال الدنيا مقومة فى الفكر التربوى الإسلامى بحسب نتيجتها فى الدنيا والأخرة بهدف الوصول إلى مجتمع انسانى فاضل.

المراجـــع

المراجع

أولاً : المراجع الدينية

(أ) القرآن العظيم وكتب السنة النبوية

(ب) كتب تفسير القرآن الكريم :

١. ابن تيمية : التفسير الكبير ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢. إسماعيل بن كثير : تفسير القرآن العظيم ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، د.ت .

٣. محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى : الجامع لأحكام القرآن الكريم، القاهرة، دار الكتب المصرية ، ١٣٥٩هـ- ١٩٤٠م.

٤. محمد بن جرير الطبرى : تفسير الطبرى ، القاهرة ، دار المعارف، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

(جـ) كتب شرح السنة النبوية :

٥. أحمد بن على بن محمد بن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٦. طه عبد الله العفيفى : من وصايا الرسول ﷺ ، القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٥م.

٧. يحيى بن شرف المعروف بالإمام النووى : شرح النووى بصحيح مسلم، بيروت ، دار إحياء التراث العربى ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

(د) كتب اللغة :

٨. ابن منظور : لسان العرب ، القاهرة ، دار المعارف ، د.ت .

٩. الحسين بن محمد المعروف بالأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن ، القاهرة ، مكتبة مصطفى البابى الحلبى ، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

١٠. مجدى الدين محمد بن يعقوب الفيروزى آبادى : القاموس المحيط، القاهرة، مكتبة مصطفى البابى الحلبى ، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .

١١. محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى : مختار الصحاح ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٢. مقاتل بن سليمان البلخى : الأشباه والنظائر فى القرآن ، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

(هـ) كتب العقيدة الإسلامية :

١٣. ابن تيمية : مجموعة الرسائل والمسائل ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

١٤. أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى : الأسماء والصفات للبيهقى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م .

١٥. أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى : القضاء والقدر والرد على من يحتج بالقدر ، (تحقيق أبى الفداء الأثرى)، القاهرة ، مكتبة السنة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٦. أبو بكر جابر الجزائرى : عقيدة المؤمن ، لبنان ، مؤسسة جمال بيروت ، د.ت.

١٧. أبو حامد محمد بن محمد الغزالى (راجعه وقدمه له طه عبد الرءوف سعد): مكاشفة القلوب ، القاهرة ، الفجر الجديد ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٨. أحمد بهجت : الله فى العقيدة الإسلامية ، القاهرة ، المختار الإسلامى ، ١٩٧٦م - ١٣٩٦هـ .

١٩. السيد سابق : العقائد الإسلامية ، القاهرة ، الفتح للإعلام العربى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٢٠. السيد محمد نوح : آفات على الطريق ، القاهرة ، دار الوفاء، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢١. آمنة محمد نصير : مباحث فى علوم العقيدة ، القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٢٢. حسن السيد متولى : مذكرة التوحيد ، القاهرة ، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٣. عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن الكريم ، القاهرة ، مكتبة الأسرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

٢٤. عبد الحميد كشك : من وصايا القرآن ، القاهرة ، دار البشير، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٥. عبد الرحمن بن حسين آل الشيخ : فتح المجيد فى شرح كتاب التوحيد ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٢٦. عبد العزيز المحمد السلمان : من معجزات النبي ﷺ، الرياض ، وقف لله تعالى بمعهد إمام الدعوى ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٢٧. عبد العزيز المحمد السلمان : موارد الظمآن لدروس الزمان، جـ١، الرياض ، مطبعة المدينة ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٢٨. عبد الكريم الخطيب : القضاء والقدر بين الفلسفة والدين ، القاهرة، دار الفكر العربي ، ١٩٧٩م – ١٣٩٩هـ .

٢٩. عبد المجيد الزنداني وآخرون : الإيمان ، دمشق ، دار القلم ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .

٣٠. على بن على بن محمد بن أبى العز الحنفى : شرح الطحاوية في العقيدة السلفية (تحقيق وتعليق د/عبد الرحمن عميره) ، الرياض ، مكتبة المعارف ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٣١. فاروق أحمد دسوقى : القضاء والقدر فى الإسلام ، الإسكندرية ، دار الدعوى ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .

٣٢. محمد أحمد الأمين الحاج : الجن والشياطين والسحر والعين والرقى فى ضوء الكتاب والسنة ، جدة ، مكتبة دار المطبوعات الحديثة ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

٣٣. محمد الغزالى :عقيدة المسلم ، القاهرة ، دار الكتب الإسلامية ، د.ت.

٣٤. محمد بن على بن أحمد بن حزم الظاهرى : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م .

٣٥. محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٣٦. محمد متولي الشعراوي : القضاء والقدر ، القاهرة ، دار أخبار اليوم، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٣٧. محمد محمود أحمد ، موسى الخطيب : الدعاء والقضاء والقدر ، القاهرة ، مركز الكتاب للنشر ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

٣٨. محيي الدين أحمد الصافي وآخرون : العقيدة الإسلامية والأخلاق، القاهرة، دار الكتاب الجامعي ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣٩. مصطفى العدوى : الاشراط الصغرى للساعة ، الطائف ، مكتبة الطرفين ، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م.

٤٠. يوسف القرضاوى : في الطريق إلى الله (التوكل) ، القاهرة، مكتبة وهبه ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

ثانياً : الكتب التربوية

٤١ . صلاح الدين بسيوني رسلان : القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية، القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

٤٢ . عبد الرحمن النحلاوى : أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، دمشق ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٤٣ . عبد الغنى عبود : في التربية الإسلامية ، ط٢ ، القاهرة، دار الفكر العربي ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .

٤٤. فتحية عمر رفاعى الحلوانى : دراسة نافذة لأساليب التربية المعاصرة فى ضوء الإسلام ، جدة ، تهامة ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م .

٤٥. محمد سعد القزاز : الاتجاه السلفى فى التربية الإسلامية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة طنطا ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٤٦. محمد قطب : دراسات فى النفس الإنسانية ، ط١٠ ، القاهرة، دار الشروق، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

٤٧. محمد محمود عبد العال : الثواب والعقاب فى الفكر التربوى الإسلامى ، رسالة دكتوراه ، كلية التربية ، جامعة أسيوط ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٤٨. نديم الجسر : قصة الإيمان ، بيروت ، دار الأندلس ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

٤٩. يوسف مصطفى القاضى : علم النفس التربوى فى الإسلام ، الرياض ، دار المريخ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

الفهرست

الباب الخامس

الصبر على أقدار الله

الباب السادس

أقدار أخبر بها النبى ﷺ

الباب السابع

متعلقات القضاء والقدر

رقم الأيداع
٤٦٥٨/ ٩٨

977 - 19 - 6197 - 7